

جزيرة العرب قبل الإسلام



تأليف
أ. د. عطية القوصى
أستاذ التاريخ الإسلامى
كلية الآداب - جامعة القاهرة

ملتزم الطبع والنشر
دار الفكر العربى
٩٤ شارع عباس العقاد - مدينة نصر - القاهرة
ت: ٢٧٥٢٩٨٤ - فاكس: ٢٧٥٢٧٣٥
٦ أ شارع جواد حسنى - ت: ٣٩٣٠١٦٧
www.darelfikrelarabi.com
INFO@darelfikrelarabi.com

موسوعة الثقافة التاريخية والأثرية والحضارية



رأس تدمرى - القرن الثانى الميلادى

الإشراف الفنى
محيى الدين فتحى الشلودى

التصميم والإخراج على الكمبيوتر
ثريا إبراهيم حسين

٩٣٩,٤٧ عطية القوصى.
ع ط ج ز جزيرة العـرب قبل الإسلام/ تأليف عطيـة القوصى. - القاهرة: دار الفكر العربى، ٢٠٠٧.
٧٢ص: صور؛ ٢٤ سم. - (موسوعة الثقـافة التاريخية والأثرية والحضارية. التاريخ الإسلامى؛ ١).
ببليوجرافية: ص ٧٢.
تدمك: ٧ - ٢٠٨٩ - ١٠ - ٩٧٧.
١ - حضارة العرب قبل الإسلام. ٢ - العرب والحالة السياسية قبل الإسلام. أ - العنوان. ب - السلسلة.

رقم الإيداع: ٧٦٥٧ / ٢٠٠٦

دار الفكر العربى

تنفيذ وطباعة الكتاب: مطبعة البردى بالعاشر من رمضان

اللجنة الاستشارية

لموسوعة الثقافة التاريخية والأثرية والحضارية

جميع المراسلات والاتصالات على العنوان التالى:

دار الفكر العربى

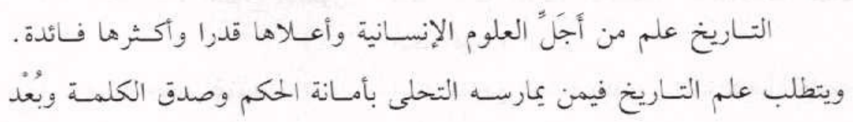
موسوعة الثقافة التاريخية والأثرية والحضارية

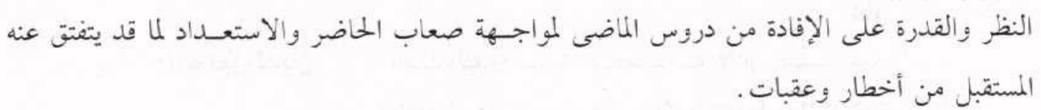
٩٤ شارع عباس العقاد - مدينة نصر - القاهرة

ت: ٢٧٥٢٩٨٤ - فاكس: ٢٧٥٢٧٣٥

www.darelfikrelarabi.com

INFO@darelfikrelarabi.com





التاريخ علم من أَجَلّ العلوم الإنسانية وأعلاها قدرا وأكثرها فائدة. ويتطلب علم التاريخ فيمن يمارسه التحلى بأمانة الحكم وصدق الكلمة وبُعْد النظر والقدرة على الإفادة من دروس الماضى لمواجهة صعاب الحاضر والاستعداد لما قد يتفتق عنه المستقبل من أخطار وعقبات.

إن الروايات التاريخية قد تتشابه فى بعض أجزائها على مدى الدهور، ولكن التاريخ لا يمكن أن يعيد نفسه، بمعنى أن تتطابق أحداثه مع بعد المسافة بين حدث وآخر. فالإنسان هو الإنسان بكيانه الجسدى ومشاعره النفسية وتطلعاته وطموحاته.. على مر العصور، ولكن الظروف المحيطة به تتغير وتتبدل من عصر لآخر. وغالبا ما يتخذ هذا التغيير مواقف جديدة أو مسيرة مختلفة تسهم فى تحويل نظرة الناس إلى الحياة. وبدراسة التاريخ يمكن الوقوف على ما مر به الإنسان من تجارب وما يمكن أن يكون قد وقع فيه من أخطاء، وكيف يتجنبها فى الحاضر والمستقبل. وهذا ما عبَّر عنه بعض الحكماء بقوله: «من وعى التاريخ فى صدره، أضاف عمرا إلى عمره».

وقد أدرك هذه الحقيقة كثير من الهيئات الثقافية، فجعلوا للتاريخ حقه من الاهتمام والرعاية، وحرصوا على رعاية جمعه وحصاده وأحلوه فى مكانه اللائق.

وتأتى مؤسسة **دار الفكر العربى** التى أسسها الأستاذ/ **محمد محمود الخضرى**، التى تنهض بدور ملموس فى مجال خدمة الثقافة العربية. والتى وضعت مشروعا للثقافة التاريخية، واستعانت فى التخطيط لهذا المشروع بعدد من صفوة أساتذة التاريخ المتخصصين داخل الجامعات العربية وخارجها. كما وفرت الدار لهذه السلسلة الإخراج الفنى والتصميمات، وكذلك المراجعة اللغوية لخروج هذه السلسلة بالصورة التى تجدونها أمامكم.

وإن أسرة الدراسات التاريخية ليسعدها أن تقدم هذا الكتاب الذى يصدر عن **دار الفكر العربى** ضمن هذه السلسلة، سائلين لها دوام التوفيق فى خدمة الرسالة والنهوض بالأمانة.

أ.د. سعيد عبد الفتاح عاشور





مقدمة

العرب شعب من أقدم شعوب العالم، عاشوا فى جزيرتهم التى تسمَّت باسمهم بعد أن انتقلوا إليها وسكنوها منذ آلاف السنين. وقد تناثر العرب فى جزيرتهم فسكنوا باديتها وأطرافها، وأقاموا فى الأطراف لهم حضارة ضاع، للأسف، مع الزمن معظم معالمها ولم يبق لنا منها إلا الفتات نلتقطه من على المخلفات الأثرية ومن فوق الأطلال. ولقد عرفت جزيرة العرب الأنبياء والمرسلين، فعاش على أرضها: هود وشعيب وإبراهيم وإسماعيل، كما شرفت بعيش نبينا محمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين. وقد حظيت هذه الجزيرة بوجود الكعبة المشرفة بيت الله الحرام على أرضها، وهو أقدم بيوت العبادة على الأرض، وأول بيت وضع للناس عليها. ومن مكة بأرض الحجاز من أراضى هذه الجزيرة انبعثت الدعوة المحمدية، وشهدت هذه الجزيرة انقلابا هائلا وتغييرا خطيرا وصراعا مريرا بين الوحدانية والوثنية، انتهى بانتصار الوحدانية وقيام دولة الإسلام على يد النبى محمد ﷺ خير الأنام.

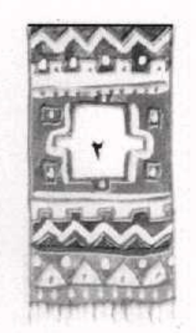
وجاء الإسلام ليضع نهاية لمرحلة طويلة من مراحل تاريخ العرب، كذلك ليضع بداية لتاريخ آخر لهم قامت لهم فيه دولة كبرى حكمت العالم ورفعت راية التوحيد وقضت على الوثنية والشرك بالله. ونزل الوحى فى مكة ومعه كتاب الله القرآن الكريم، آخر رسالة من السماء إلى الأرض وحتى تقوم الساعة.

ودارس التاريخ الإسلامى خاصة والتاريخ الإنسانى عامة لابد له من أن يبدأ دراسته بدراسة تاريخ العرب قبل الإسلام، فهى البداية الطبيعية والمدخل الطبيعى لدراسة تاريخ الإنسانية عموما. وقد طلب الله منا أن ندخل البيوت من أبوابها حتى نكتشف، بعد ذلك، ما بداخل هذه البيوت.

والله أسأل أن أكون قد وفقت فى مدخلى هذا بهذا العرض الموجز والمقتضب لتاريخ وحضارة العرب قبل الإسلام . .

والله من وراء القصد وهو وحده تعالى المستعان، وهو العليم الخبير.

المؤلف



مصادر تاريخ العرب قبل الإسلام

أطلق الكتاب والمؤرخون المسلمون لفظ «الجاهلية» على الفترة التى غطت تاريخ العرب منذ القدم حتى ظهور الإسلام، وهو إطلاق يدل ضمنًا على شيء من التحقير لحالة الوثنية التى كان العرب عليها قبل التوحيد، وقد فهم جمهور من الناس، ومنهم بعض المستشرقين الأوروبيين، أن لفظة الجاهلية مشتقة من الجهل الذى هو نقيض العلم، وفهمها البعض الآخر على أنها الجهل بمعرفة الله تعالى والجهل بشرائع الدين.

وقد وردت كلمة «الجاهلية» فى مواضع عديدة فى القرآن الكريم، منها قوله تعالى: ﴿ ...يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ... ﴿١٥٤﴾ ﴾ [آل عمران]، وقوله تعالى: ﴿ **أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ** ﴿٥٠﴾ ﴾ [المائدة]، وقوله تعالى: ﴿ **وَقَرْنَ فِي**

منظر من داخل غرفة الخزنة - مدينة البتراء - تبين فن العمارة عند الأنباط



بُيُوتكُنَّ ولا تَبرَّجْنَ تبرُّجَ الْجَاهليَّة الأُولَىٰ ...﴿٣٣﴾﴾ [الأحزاب]، وقوله تعالى: ﴿إذْ جَعَلَ الَّذين كفَرُوا في قُلُوبهمُ الْحميَّةَ حَميَّةَ الْجَاهليَّة ...﴿٢٦﴾﴾ [الفتح].

واختلف العلماء فى تحديد بداية العصر الجاهلى، وإن اتفقوا على نهايته، واختلفوا فى: هل هو عصر واحد أم عصران على تقدير أن القرآن الكريم ذكر الجاهلية الأولى، ومعنى ذلك أن هنالك جاهلية ثانية تعقب الأولى. وقالوا: إن عصر الجاهلية الأولى يقع بين عصرى النبى نوح والنبى إدريس عليهما السلام. وذهب آخرون إلى أنها الفترة بين عيسى ومحمد عليهما السلام. وقال فريق آخر: إن الجاهلية المعروفة لنا لا يتعدى توقيتها قبل بعثة محمد بقرن من الزمان. أما منتهاها فاتفقوا على أنه وقت ظهور النبى محمد ﷺ ونزول الوحى عليه، وإن كان جماعة منهم قد ذكروا أن منتهاها هو فتح مكة وسقوط دولة الكفر فيها. وقد ذهب بعض المؤرخين إلى أن لفظة الجاهلية هى لفظة إسلامية أطلقت فى الإسلام على الزمن الذى عاشه العرب فى شبه جزيرتهم قبل البعثة المحمدية، والزمن الذى مر على العرب قبل البعثة النبوية.

ولقد انحصرت المصادر التى استقى منها الدارسون لتاريخ العرب قبل الإسلام ومظاهر حضارتهم، فى مصادر أربعة هى: النقوش والكتابات العربية وغير العربية التى عثر عليها الباحثون وعلماء الآثار والحفريات.. والتوراة العبرانية وهى كتاب العهد القديم.. والكتب السريانية.. والمصادر العربية الإسلامية، وتمثلت فى القرآن الكريم وكتب الأحاديث الصحاح والسنن، ومدونات الشعر الجاهلى والشعراء المخضرمين الذين عايشوا الجاهلية والإسلام وكتب السير والأخبار، وكتب المؤرخين المسلمين الأُول من أمثال وهب بن منبه والهمدانى ومحمد بن السائب الكلبى وغيرهم.

وبسبب قلة ما ورد عن عرب ما قبل الإسلام فى كتب الإسلاميين، تساءل البعض إذا ما كان الإسلام قد تعمد طمس أخبار الجاهليين أو أن العرب، عند ظهور الإسلام، لم تكن فى حوزتهم كتب مدونة فى تاريخهم، ولم يكن عندهم علم بأحوال أسلافهم إلا القليل الذى تحدثوا به إلى المؤرخين المسلمين فوجد سبيله إلى كتبهم. وقد أوكل بعض الباحثين هذا القصور فى معارف العرب القديمة إلى الإسلام وأن الإسلام ورجاله قد اتجهوا إلى استئصال كل ما يمت بصلة إلى أيام الوثنية فى الجزيرة العربية، واستدلوا على ذلك بحديث الرسول ﷺ القائل: «بأن الإسلام يَجُبُّ ما قبله»، وأن هذا الحديث قد أدى إلى تكاسل العلماء وتقاعسهم عن متابعة الدراسات المتصلة بالجاهلية، وإلى محو آثار كل ما يتفرع عن حياة العرب القديمة، وقد أدى ذلك إلى ذهاب أخبار الجاهلية واندثارها وجعل بداية التاريخ عند العرب هو عام ٥٧١ ميلادية المعروف بعام الفيل.



وهذا الزعم زعم باطل، لأن من فسر حديث «الإسلام يجب ما قبله» هذا التفسير قد فسره بشكل خاطئ، لأنه لم يكن المقصود به طمس تاريخ ماقبل الإسلام، ولكن المقصود به غفران الذنوب التى وقعت من معاصى الناس وتجاوزاتهم وسيئاتهم قبل دخولهم الإسلام، وقد حرَّم الإسلام أشياء من الجاهلية وأقر أشياء أخرى ورد إقرارها فى القرآن الكريم والأحاديث النبوية، ولم يرد فى الإسلام ما يفيد تحريم العلم الجاهلى ولا الشعر والنثر الجاهليين. ولم يقم حكام المسلمين الأُول وخلفاؤهم بهدم مخلفات الجاهليين من المبانى عدا الأصنام والأوثان التى كان الناس يعبدونها ويقدسونها آنذاك قبل ظهور الإسلام. ولم يرد فى أى خبر من الأخبار أن خلفاء المسلمين قاموا بتخريب كتابات الجاهليين ومحوها من على آثارهم أو إحراق كتبهم أو الإعراض عنها. ولم يثبت على الإطلاق أن علماء المسلمين منعوا رواية أخبار الجاهلية، بل كانوا يسعون فى طلبها للاستشهاد بها فيما يعظون به الناس وما يقررونه عليهم من تعاليم وفى تفسيراتهم التى كانوا يفسرون بها القرآن. وقد برع من علماء المسلمين الأوائل عدد فى الأنساب وفى رواية أيام الجاهلية ورواية الشعر الجاهلى، كل ذلك يناقض مزاعم المستشرقين التى ادعت فكرة طمس الإسلام لتاريخ وأحوال عرب ما قبل الإسلام.

وقد أشار القرآن الكريم إلى أحداث وقعت فى جزيرة العرب فى الزمن البعيد، وتحدث عن أقوام أبيدوا وهلكوا كانوا يعيشون فى تلك البلاد مثل قوم عاد وثمود وأهل مدين. وقد حث الإسلام على دراسة أخبار هذه الدول المندثرة وأخبار شعوبها فى الماضى القديم لأخذ العظة والعبرة منها. كذلك أشار القرآن إلى الأصنام التى كان عرب شبه الجزيرة يعبدونها من دون الله، وذكر أسماءها دون أن يجد حرجًا فى ذلك. ومن المؤكد أن أخبار الجاهلية الأولى قد طمست فى أيام الجاهلية الثانية، ولم يتبق للناس، عند ظهور الإسلام، إلا علم بأخبار أحداث قرن أو قرن ونصف قبل ظهور الإسلام فى أبعد تقدير.

ولقد نبه المستشرقون إلى ضرورة تدوين التاريخ الجاهلى، ودراسة ما دُوِّن عن عرب ما قبل الإسلام فى كتب الإسلاميين، وقد طاف بعض هؤلاء العلماء بلاد العرب ونقبوا عن آثارها، ونجحت حفرياتهم فى اكتشاف معلومات طيبة عن التاريخ الجاهلى تضيف الجديد إلى ما أوردته المصادر الإسلامية التاريخية والأدبية عنه، وتوصل هؤلاء العلماء أيضا إلى حل رموز الكتابة الحميرية العربية مما أسهم كثيرا فى إعادة كتابة تاريخ العرب قبل الإسلام؛ نظرا لما أضافه هذا العمل من معلومات جديدة قيمة.



بلاد العرب قبل الإسلام

٥

فى بداية الحديث عن تاريخ العرب قبل الإسلام، علينا أن نتعرف على هؤلاء العرب أصحاب هذا التاريخ، ونتساءل: من هم العرب، وإلى أى الأجناس ينتمون ولماذا سُموا عربًا؟

للإجابة على هذه الأسئلة نقول: إن العرب أمة ساميّة الأصل، استوطنت شبه الجزيرة العربية قبل الميلاد بآلاف السنين، ولم يستطع أحد من العلماء أن يحدد التوقيت الدقيق لهجرتهم إليها. ولقد ورد فى التوراة أن العرب من نسل سام بن نوح، وأن لغتهم فرع من الأرومة السامية مثل: العبرية والحبشية والفينيقية والآشورية.

ولقد بحث علماء العربية فى أصل لفظة العرب والعربية فوجدوا أن أقدم نص ورد فيه اسم (عرب) هو نص آشورى يعود إلى أيام الملك الآشورى شلمنصر الثانى سنة ٢٠٠٠ ق م. وقد قُصد بها مشيخة كانت تحكم فى البادية المتاخمة للحدود الآشورية. وورد فى النص أنه كان يحكم هذه المشيخة ملك يُسمى (جندب).

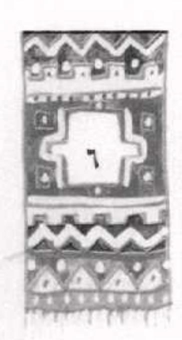
وقد دلت كلمة عرب فى اللغة العبرانية على البداوة، أى أنها كانت تطلق على سكان البادية. وقيل أيضًا: إن تسمية هذا الشعب بالعرب جاءت نسبة إلى يعرب بن قحطان جد العرب العاربة وهو من نسل سام بن نوح عليه السلام.

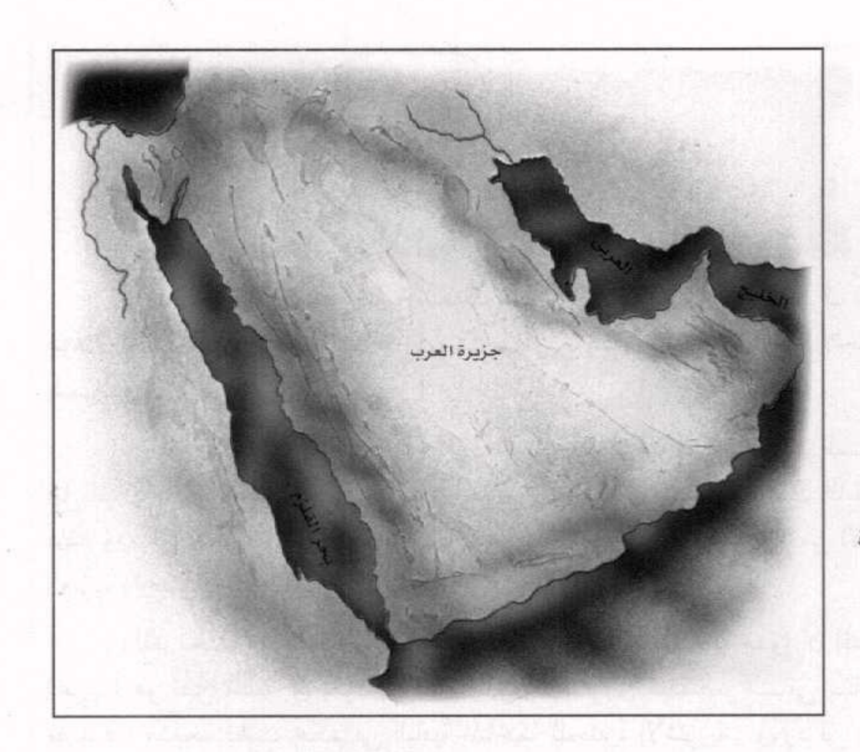
ويختلف العرب عن الأعراب، فالعرب هم أهل الحضر من سكان الأمصار والمدن والقرى. والأعراب هم البدو، سكان بادية الصحراء. ولقد وجدت لفظة (عربى) كلقب من ألقاب ملوك سبأ القدامى على النقوش العربية القديمة فى جنوب شبه جزيرة العرب، وقد كتبت هذه النقوش بخط المسند الذى عُرف بخط حميَر الذى كان استعماله مقصورا على أهل اليمن.

طبيعة بلاد العرب:

وعُرفت الأرض التى نشأ العرب بها من قديم بجزيرة العرب أو شبه جزيرة العرب بحسب إطلاق الجغرافيين لها؛ لإحاطة المياه لها من ثلاثة أجزاء. وهى أرض واسعة تبلغ مساحتها نحو مليون ميل مربع، وهى تساوى فى مساحتها تقريبًا ثلث مساحة قارة أوروبا بأكملها. وهى تقع جنوب غربى قارة آسيا. وتغلب الصحراء على معظم أرض شبه الجزيرة بسبب نقص سقوط الأمطار عليها. وتغطى الكثبان مناطق كثيرة فيها، وترتفع الجبال فى بعض أماكنها، ويبلغ ارتفاع بعضها أكثر من ستمائة قدم عن مستوى سطح البحر وتمتد طوليا إلى عدة أميال.

وتنقسم شبه جزيرة العرب من حيث طبيعتها الجغرافية إلى خمسة أقسام هى: الحجاز، تهامة، نجد، العروض، واليمن وحضرموت.





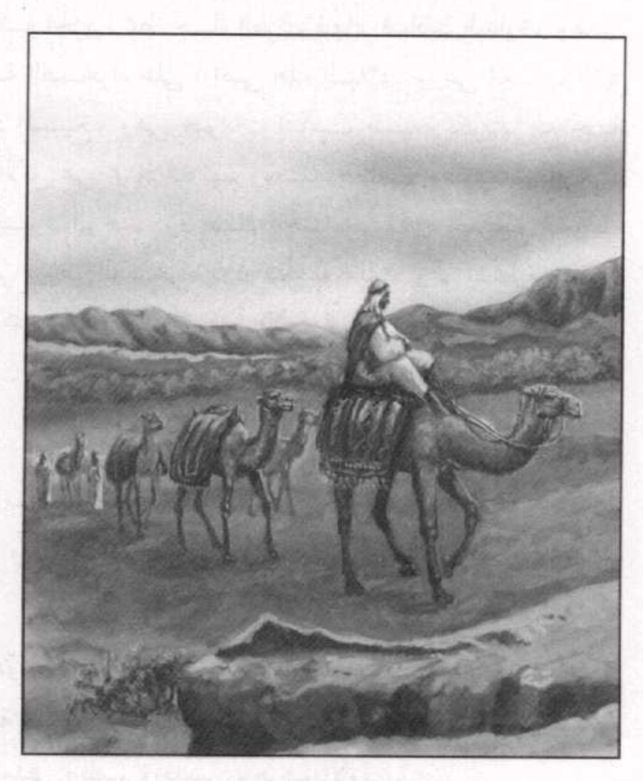
خريطة شبه الجزيرة العربية

الجمل سفينة الصحراء





صورة
لإقليم نجد



المواصلات فى جزيرة العرب

ويمثل **الحجاز** المنطقة الغربية من شبه الجزيرة، وهو يقع بحذاء البحر الأحمر شمال اليمن وشرقى تهامة وغربى نجد، وهو إقليم يمتد من خليج العقبة إلى عسير. وسُمى هذا الإقليم حجازاً لأنه يحجز بين نجد وتهامة، ويبلغ طوله من الشمال إلى الجنوب نحو ٧٠٠ ميل وعرضه ١٧٠ ميلا ومساحته ٩٦ ألف ميل مربع. ويتكون الحجاز من عدة أودية تتخللها سلسلة جبال السراة، وأشهر مدنه مكة والمدينة والطائف وتبوك، وموانيه جدة وينبع على البحر الأحمر.

أما **تهامة**، فهى الأرض الواقعة بمحاذاة ساحل البحر الأحمر الشرقى



من ينبع إلى نجران، وتُسمى أيضًا (الغور) لانخفاض أرضها. وسميت بتهامة من التهم وهو شدة الحر وركود الريح، ومن أهم مدنها عسير وأبها.

أما **نجد** فهو أوسع أقسام شبه الجزيرة، وسمى نجدا لارتفاع أرضه، وهو إقليم يمتد من بادية الشام شمالا إلى حدود اليمن جنوبا، ومن بلاد الحجاز غربًا إلى بلاد البحرين شرقًا، ويبلغ طوله من الشمال إلى الجنوب نحو ٨٠٠ ميل وعرضه من الشرق إلى الغرب نحو ٢٢٠ ميلا. وتقع صحراء الربع الخالى «الأحقاف» إلى الجنوب من نجد وكانت ديارا لقوم عاد وأشهر مدن نجد: الرياض (عاصمة المملكة السعودية الحالية) وحائل والقصيم.

أما إقليم **العروض**، فهو إقليم اليمامة، وقد سُمى عروضًا لاعتراضه بين اليمن ونجد والعراق.

أما **اليمن وحضرموت** فيقعان فى جنوب وجنوب شرقى شبه جزيرة العرب، وقد تميزت أراضيها، منذ القدم، بالخصب والنماء لسقوط الأمطار الموسمية الصيفية الغزيرة عليها وقيام أهلها بالزراعة. وقد شهدت أرض هذه البلاد حضارات قديمة وقامت بها دول شهيرة، وهى على التوالى دول: معين، وسبأ، وحمير.

وقد فرضت طبيعة الأرض فى شبه الجزيرة نمط حياة العرب فيها، فسادت البداوة، وغلبت حرفة الرعى على أهلها بسبب غلبة الصحراء على أراضى هذه البلاد. ورعى العرب الإبل وعرفوها منذ خمسة قرون قبل ميلاد المسيح، وهى حيوانات تتناسب طبيعة تكوينها مع حياة الصحراء القاسية. ومن ثم أصبحت الإبل هى عماد ثروتهم ومصدر طعامهم وسفينتهم الوحيدة عبر بحور الصحراء. والجمل هو الحيوان الوحيد دون سائر الحيوانات الذى يستطيع أن يقطع الفيافى والقفار والمسافات الشاسعة عبر دروب الصحراء دون كلل أو ملل، وهو يستطيع، خلال رحلته الطويلة، أن يحمل على ظهره أكثر من أربعة قناطير من الأحمال، وأن يقطع ٦٠ ميلا سيرا متواصلا فى اليوم وهو قادر أن يسافر ٢٠ يومًا متصلة دون ماء فى ظروف حرارة قاسية قد تصل إلى ١٢٠ درجة فهرنهيتية.

طبقات العرب:

ولقد اتفق الرواة وأهل الأخبار والمؤرخون على تقسيم العرب إلى ثلاث طبقات: عرب بائدة، وعرب عاربة، وعرب مستعربة.

والعرب البائدة هم العرب الذين بادوا من قديم واندرست أخبارهم ولم يصلنا عنهم إلا القليل فيما ورد عنهم فى القرآن الكريم والسنة النبوية وماكشفته عنهم الحفريات الأثرية، وأشهر قبائلهم التى أبيدت هم: قوم عاد وثمود وأهل مدين وطسم وجديس وجُرهم الأولى.



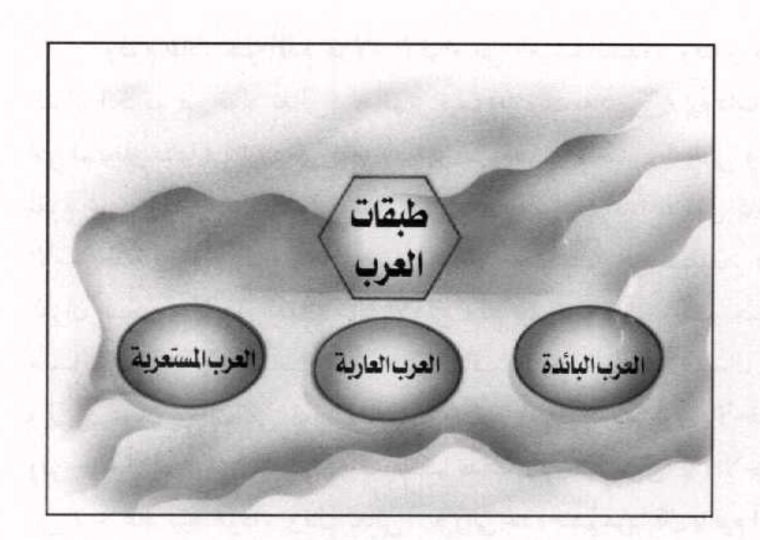
وقوم عاد، هم أقدم هؤلاء الأقوام من العرب البائدة، وقد ورد ذكرهم فى القرآن الكريم فى قوله تعالى: ﴿ **أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (٦) إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (٧) الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلادِ (٨)** ﴾ [الفجر]. وذهب الأخباريون إلى وجود طبقتين لقوم عاد، وهما: عاد الأولى وعاد الثانية، وقالوا إن عادًا الأولى كانت من أشد الأمم بطشًا وقوة. وكانت مؤلفة من أكثر من ألف بطن من البطون. وقد ورد فى القرآن الكريم أن الله أهلك عادًا الأولى ولم يُبق عليهم، ويُفهم من القرآن أن مساكن عاد الأولى كانت بمنطقة الأحقاف (الربع الخالى)، شمال حضرموت وغربى عُمان وذلك فى قوله تعالى: ﴿ **وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (٢١)** ﴾ [الأحقاف] وقد أرسل الله تعالى إلى قوم عاد نبيه هودًا، وقال تعالى: ﴿ **وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ مُفْتَرُونَ (٥٠)** ﴾ [هود]. وقال تعالى: ﴿ **وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ (٦٠)** ﴾ [هود]. وقال تعالى: ﴿ **فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ (١٥)** ﴾ [فصلت].

وكان قوم عاد يعبدون الأصنام فقام هود بتحذيرهم وضرب لهم المثل بقوم نوح وذكرهم بنعم الله عليهم إذ زادهم فى الخلق بسطة وجعلهم خلفاء من بعد قوم نوح وبوأهم أرضًا تدر عليهم الخير وتخرج لهم الزرع، وأن عليهم أن يستعملوا عقولهم ويعبدوا الله الذى خلقهم. وقد أعلن لهم هود أنه ينصحهم لوجه الله لايريد أجرًا ولا رئاسة.

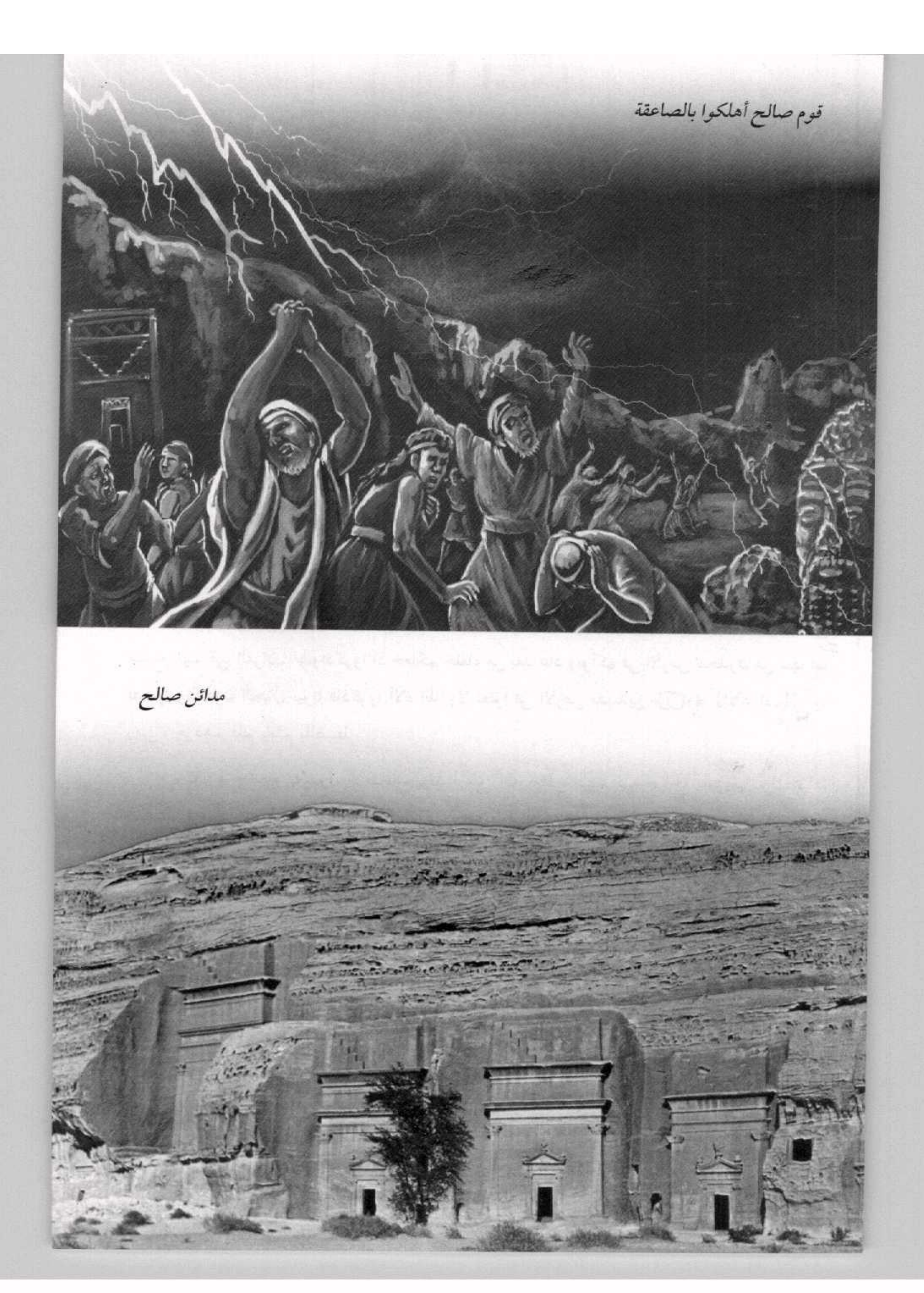
وقد سفهه قومه وكذبوه واتهموه فى عقله. وظل هود فى محاولاته مع قومه ثم أنذرهم بالعذاب. يقول الله تعالى فى ذلك: ﴿ **إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلا تَتَّقُونَ (١٢٤) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٢٥) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٢٦) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٢٧) أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ (١٢٨)** ﴾ [الشعراء].

ولقد أعرض قوم عاد عن نبيهم هود واستكبروا، فأنزل الله بهم العذاب بأن أرسل إليهم الريح الشديدة التى سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام متتالية فأهلكتهم وجعلتهم كأعجاز نخل خاوية. يقول تعالى فى ذلك: ﴿ **وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ (٦) سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ (٧) فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنْ بَاقِيَةٍ (٨)** ﴾ [الحاقة]. كذلك قوله تعالى: ﴿ **كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ (١٨) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ (١٩) تَنزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ (٢٠) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ (٢١)** ﴾ [القمر]. وقوله تعالى: ﴿ **فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لا يُنصَرُونَ (١٦)** ﴾ [فصلت].



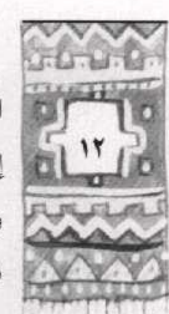


عاد من أقوام العرب



قوم صالح أهلكوا بالصاعقة

مدائن صالح



ولم يبق بعد هلاك عاد الأولى سوى هود وقلة آمنت به فيهم لقمان الحكيم وهو الذى ورد ذكره فى القرآن الكريم، وتسمت السورة بسورة لقمان. . وقد توجه هؤلاء إلى مكة طلبًا للماء وهنالك أقاموا دولة عاد الثانية، وخاف العاديون انحباس المطر والجفاف فى مكة فارتحلوا إلى اليمن وبقوا هناك حتى تغلبت عليهم القبائل القحطانية فالتجأوا إلى حضرموت واستقروا هناك وذابوا فى أهلها.

أما قوم ثمود، فقد ورد اسمهم فى الكتب العربية وفى القرآن الكريم مقرونًا بعاد، وورد اسم ثمود فى إحدى عشرة سورة من سور القرآن الكريم، وكانوا يسكنون منطقة الحجر (مدائن صالح)، وموقعها بين الحجاز والشام إلى وادى القرى وهى موجودة إلى الآن والمكان الذى كانت فيه ديارهم كانت تُعرف إلى اليوم بفج الناقة. وكانت بيوت قوم ثمود، كما أخبر القرآن الكريم، منحوتة فى الجبال: ﴿ **وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ** ﴿٩﴾ ﴾ [الفجر] أى قطعوا الجبال واتخذوها بيوتًا، ولا تزال آثارهم المنحوتة فى الصخر باقية إلى الآن فى المنطقة الممتدة من الجوف شمالا إلى الطائف جنوبا ومن الأحساء شرقًا إلى أرض مدين غربًا.

وقوم ثمود فى الغالب بقية من قوم عاد، وما يؤيد أن قوم ثمود بقية من قوم عاد قول النبى صالح لهم فى القرآن: ﴿ **وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى الأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ وَلا تَعْثَوْا فِى الأَرْضِ مُفْسِدِينَ** ﴿٧٤﴾ ﴾ [الأعراف]. أما زمن وجودهم فلم يُعلم بالضبط.

وكان قوم ثمود يعبدون الأصنام، وقد أرسل الله تعالى إليهم نبيه صالحا يأمرهم بترك عبادة الأصنام وعبادة الله الواحد القهار فهزأوا منه واستخفوا به ولم يستجيبوا لدعوته. وقد أورد الله تعالى رسالته لهم فى كتابه الكريم بقوله تعالى: ﴿ **وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِى أَرْضِ اللَّهِ وَلا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴿٧٣﴾ ﴾ [الأعراف].

وقد طلب قوم ثمود من النبى صالح أن يأتيهم بآية معجزة خارقة تبين لهم صدق رسالته فأخرج لهم صالح من الصخر ناقة بإذن الله وأمرهم ألا يمسوها بسوء. ولكنهم تشاءموا من هذه الناقة وعدوها خطرًا عليهم فذبحوها فلما فعلوا ذلك وعدهم صالح بالعذاب الأليم من رب العالمين فأخذتهم الرجفة، أى أبادتهم الصاعقة عن آخرهم ولم تبق منهم أحدا. قال تعالى بصدد نهاية قوم ثمود المأساوية: ﴿ **فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ** ﴿٧٧﴾ **فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِى دَارِهِمْ جَاثِمِينَ** ﴿٧٨﴾ ﴾.

وأما صالح والذين آمنوا معه فقد نجوا مما حاق بقومهم من العذاب الذى أدركهم بعد ثلاثة أيام من جريمة عقرهم الناقة وذبحها. وقيل إنه ذهب والذين آمنوا معه إلى ناحية الرملة من فلسطين. ويقول أهل حضرموت إنهم ذهبوا إلى حضرموت وأقاموا بها، وأنهم فصيلة من أهل الأحقاف، وهناك قبر فى بلادهم يزعمون أنه قبر النبى صالح.

أما أهل مدين، فكانوا عربًا يسكنون مدينة مدين الواقعة على أطراف الشام مما يلى الحجاز، وكانوا تجارًا كفارًا يعبدون الأوثان وكانوا يطففون فى المكيال والميزان. فبعث الله إليهم نبيه شعيبا عليه السلام لهدايتهم إلى عبادة الله الواحد الأحد، فلم يستجيبوا له وسخروا منه. يقول الله تعالى عن أهل مدين: ﴿ **وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ** (٨٥) ﴾ [الأعراف]، ﴿ **قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ** (٨٨) ﴾ [الأعراف]، ﴿ **وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ** (٩٠) ﴾ [الأعراف].

ولما لم يستجب أهل مدين لشعيب وسخروا منه دعا عليهم واستجاب الله لدعوته فأخذتهم الرجفة، وهى الزلزال أو الصيحة، وهى زعقة عظيمة نزلت عليهم من السماء فأهلكتهم فبادوا عن آخرهم ونجا الله شعيبًا ومن آمن معه، قال تعالى فى ذلك: ﴿ **وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ** (٩٤) **كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ** (٩٥) ﴾ [هود].

وقال تعالى: ﴿ **وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ** (٩٠) **فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ** (٩١) **الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ** (٩٢) ﴾ [الأعراف].

بعد ذلك أرسل الله تعالى شعيبًا إلى «أصحاب الأيكة»، وهى منطقة مزروعة وبها شجر كثيف قرب مدين، فلم يتقبلوا دعوة شعيب وكان من شدة حماقتهم أن طلبوا منه أن يُسقط عليهم قطعة من السماء إن كان من الصادقين؛ فأخذهم عذاب «يوم الظلة» بأن سلط الله عليهم الحر الشديد مدة سبعة أيام حتى فارت مياههم ثم ساق إليهم سحابة فاجتمعوا للاستظلال بها من وهج الشمس فأمطرهم بنار أحرقتهم.

قال تعالى: ﴿ **وَإِن كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ** (٧٨) **فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ** (٧٩) ﴾ [الحجر] و﴿ **كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ** (١٧٦) **إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ** (١٧٧) **إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ** (١٧٨) ... **فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ** (١٨٧) **قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ** (١٨٨) **فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ** (١٨٩) **إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ** (١٩٠) **وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ** (١٩١) ﴾ [الشعراء].

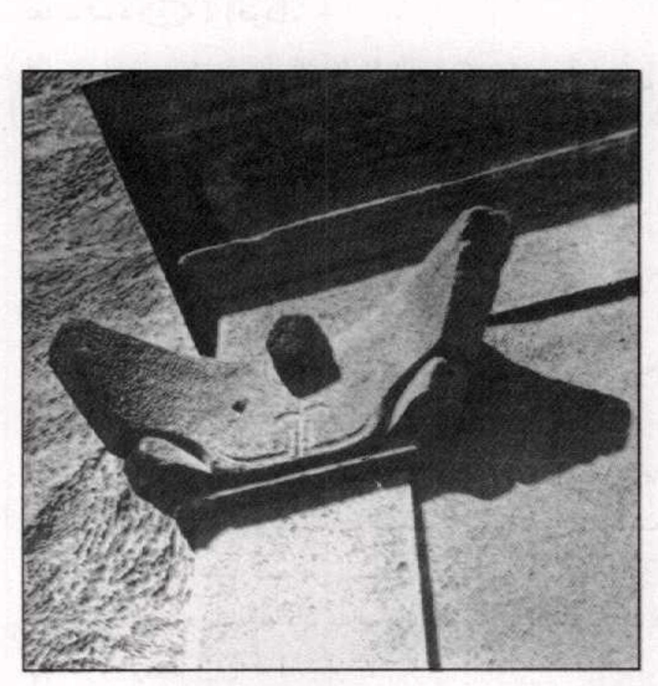


العرب العاربة:

هذا عن العـرب البائدة، أمـا العرب العاربـة، فهم العرب الأُصّـل، وكانوا معـاصرين لإخوانهم من العرب البـائدة ومظاهرين لهم على أمورهم، وقد عـرفوا بالعرب اليمنية، والسبئية، والقحطانية، وعرب الجنوب، وكانوا فى الأصل يسكنون العراق، ثم هاجروا إلى اليمن واستقروا فيه ثم ارتحلوا من اليمن وتفرقوا شيعًا على إثر نزول سيل العرم وانهيار سد مأرب سنة ٥٢٥ مـيلادية وتوزعت قبائلهم فى شبه الجزيرة وخارجها.

ويُقسم النسابون العرب العاربة القحطانيين إلى قسمين كبيرين هما: جرهم الأولى ويعرب، وقد بادت جرهم الأولى وبقيت يعـرب التى انقسمت بدورها إلى مجموعتين كبـيرتين من القبائل هما: حميَر وكهلان، وتنتسب حميَر إلى حـمير بن سبأ الأكبر ابن يشجب بن يعرب بن قحطان، وأنجب حميـر عددًا من الأبناء كانوا هم رءوس قبائل حـمير الشهيـرة، ومن أشهر قبائل حـمير: قضاعـة، ومن بطون قضاعـة: كلب وتنوخ وجهينة وعذرة وبهـراء وبلى، ومن حميَر كـان أيضًا التتابعة ملوك اليمن، أما كهلان فيرجع نسبها إلى كهلان بن سبأ، وهو شقيق حمير بن سبأ، ومن أشهـر بطونها: الأزد، وطيئ، وبجيلة، وخـثعم، وعاملة، وهمـدان، وكندة، ومذحج، ولخم، وجذام. ومن بطون الأزد: أزد عُمان، والأوس والخـزرج الذين سكنوا يثرب، وخزاعة التى نزلت مكة وأجلت عنها جرهم الثانية.

العرب المستعربة:



وهم العـرب غيـر الخُلَّص، وقـد جاءوا من نـتاج زواج العـرب الخُلص مع أهل البـلاد التى ارتحلوا إليها وأقامـوا فيها. وهم من صلب سيـدنا إسماعيل ابن سـيدنا إبراهيم الخليل وزوجـته رعـلة بنت مضـام الجرهمى. وقد أنجب إسـماعيل من رعلة اثنى عشر ولدا هم آباء العرب المستعربة. ونشأ العرب المستعربة فى مكة ومنهـا انتقلوا إلى سـائر البلاد العربيـة. ويُقال للعرب المستـعربة: الإسماعيلية، والقـيسية، والنزارية، والمعدية، وعـرب الشمـال، وعرب الحجاز، والعدنانيون.

ولقد تفرعت القبائل العدنانية كلها من نسل ولدين لعدنان هما: عك ومعد وأشهر هذه القبائل: إياد، ونزار، وقنص، وأنمار. ومن نزار تفرعت أشهر البطون العدنانية وبخاصة مضر وربيعة وأشهـر بطون ربيعة : أسد وضبيعة، وأشهر بطون مضـر قيس عـيلان وسليم وغطفـان وعدوان. وقريش هى أهم بطـون إلياس بن مضر.

ولما تكاثرت القبـائل العدنانية وضـاقت بهم البلاد التى يقيـمون بها تفـرقوا حيث الماء والزرع وهاجروا، وممن هاجر منهم: بنو ربيعة وبطون من بكر بن وائل وبطون من تيم بن مـرة هاجـروا إلى البـحـرين. وهاجـر بنو سليم إلى الأراضى شـرقى يثـرب، وهاجرت ثقيف إلى الطائف وسكنت فيها هى وهوازن إلى شـرقى مكة. أما قريش فقد أقامت بمكة وضواحيها.

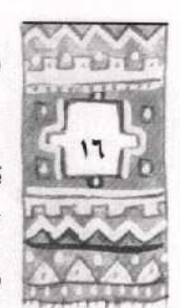




قامت فى بلاد اليمن قبل الإسلام خمس دول وممالك، هى: دولة معين، ومملكة حضرموت، وحكومة قتبـان، ومملكة سبأ، ومملكة حمير. وتمتد تواريخ هذه الـدول والممالك ما بين القرن الرابع عـشر قـبل الميلاد حـتى ظهـور الإسلام فى القـرن السابع الميلادى، وكانت الدولة المـعينية التى عاشت وازدهرت فى الفترة ما بين سنوات ١٣٠٠ - ٦٣٠ق م أقدم هـذه الدول، وكانت دولة حـمير آخـر هذه الدول عهـدا بالإسلام. وسـيتناول حـديثنا ثلاثا من هذه الدول، وهى أهمـها وهى دول: مـعين وسـبأ وحمير.

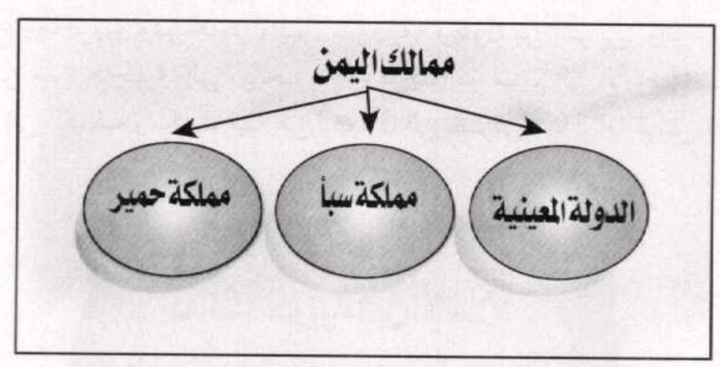


لوح خشبى منقوش عليه وجه الإلهة عشتار
وقد انتقل مع القادمين من بلاد ما بين النهرين



١ - الدولة المعينية:

تعد الدولة المعينيـة من أقدم الدول العربية التى بلغنا خبرها، وقـد استمرت قائمة ومـزدهرة مدة سبعـة قرون تقريبا، علـى رأى بعض العلماء. ووصلت إلينا أخبارها من الكتابات المدونة بالخط المسند والمصادر التاريخـية القديمة غير العربية، ولم يرد بخصوص هذه الدولة ذكر فى المصادر العربية الإسلامية.



وكان ظهور دولة معين فى منطقة الجوف، شـرقى صنعاء، فى الأرض السهلية الخصبة ذات المياه والتى تقع بين نجران وحضرموت. وكانت مديـنة القرن عاصمة تلك الدولة. وقد حصل قُرَّاء الخط المسند على أسماء بعض ملوك هذه الدولة ولـيس جميعهم. كذلك صادفـتهم مشكلة ترتيب قائمـتهم ومعـرفة سنوات حكمهم بالتـحديد. وكان عـدد الملوك الذين توصل المنقبـون إليهم ٢٦ ملكا. ومن أشهـر أسماء هؤلاء الملوك الذين حكموا وفق النظام الوراثى: اليـفع يثع، اليفع ريام، تبع كرب، حفن صدق، ومعد يكرب.

وكانت حكومـة معين حكومـة ملكية يرأسهـا ملك، أُطلق عليه هذا اللقب، وشـاركه فى الحكم أبناؤه وأشقاؤه. وكان للملك مجلس استشارى من كبـار رجال خاصته، كان يستشيرهم فى أمور الدولة الهامة ولم يكن ينفرد برأيه.

وكان لرؤسـاء قبائل دولـة معين دور خـاصة تعرف الواحـدة منها باسم (مـزود) وجمعـها مزاود، يتخذونها مجـالس يجتمعون فيها للتشاور فى أمورهم. وتتـألف مملكة معين من مقاطعات على رأس كل مقاطعة ممثل عن الملك يعرف عندهم باسم كِبر، أى الكبير.

ويتـشكـل دخل الحكومـة من الضـرائـب التى تحـصلهـا مـن الناس من واردات الأراضى الحكوميـة، ومن الضرائب التى وردت أسـماؤها فى كتـابات معين: ضـريبة فرعم، أى الضـريبة الفرعية، وضريبة عـشرم، أى العشرية. وكانت للمعابد فى معين أراض خاصة تسـتغلها لصالحها وتصرف من ريعها، كـذلك كان لها مورد ضخم من النذور التى كان يقدمهـا الناس لآلهة معين. وكان فى كل مـدينة من مدن معين مـعبد أو أكثر خـصصت لعبادة إلـه معين، الذين كان عـشتر



(عشتار) أكبرهم، وكان يرمز له بالزهرة. كذلك كان أهل معين يعبدون الإله (ود) إله القمر، والإله (نكرح) إله الشمس.

وكانت مدينة القرن هى عاصمة معين وأشهر مدنهم، وقد ظلت هذه المدينة آهلة بالسكان حتى هجـرت وتحولت إلى خرائب فى القرن الثانى عـشر الميلادى. ومن مدن معين أيضا: براقش، نشق، ريشان، وبيحان.

٢ـ مملكة سبأ (١٠٠٠ق م ـ ١١٥ق م):

قامت مملكة سبأ فى الركن الجنوبى الغربى من بلاد اليمن، وكانت مجاورة ومعاصرة لدولة معـين. ولما قويت شـوكة مملكة سبـأ وعظم أمرها انتـزعت سلطان دولة معـين وضمتـها إليـها، واتخذت مدينة صرواح، أول الأمـر، عاصمة لها، ثم اتخذت، بعد ذلك، مدينة مـأرب عاصمة لها.

ولقد ورد اسم سـبأ فى القرآن الكريم، وسمـيت سورة فيـه باسمها لما كـان لها من مكانة كبرى فى التاريخ القديم، يقول الله تعالى فى ذلك:

﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَأٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ (١٥) ﴾ [سبأ].

ويذكر الأخـباريون أن نسبـة هذه الدولة يرجع لسبـأ بن يشجب بن يعـرب بن قحطان من العرب العاربة. وزعموا أن اسمه الحقيقى هو عبد شمس، أما سبأ هذا فهو لقب لُقب به لأنه أول من سبى وسن السَّبى من ملوك العرب وأدخل السبايا بلاد اليمن، وذكـروا أنه قام ببناء مدينة أسماها سبأ، وبناء سد مأرب، وقيامه بالغزو خارج اليمن.

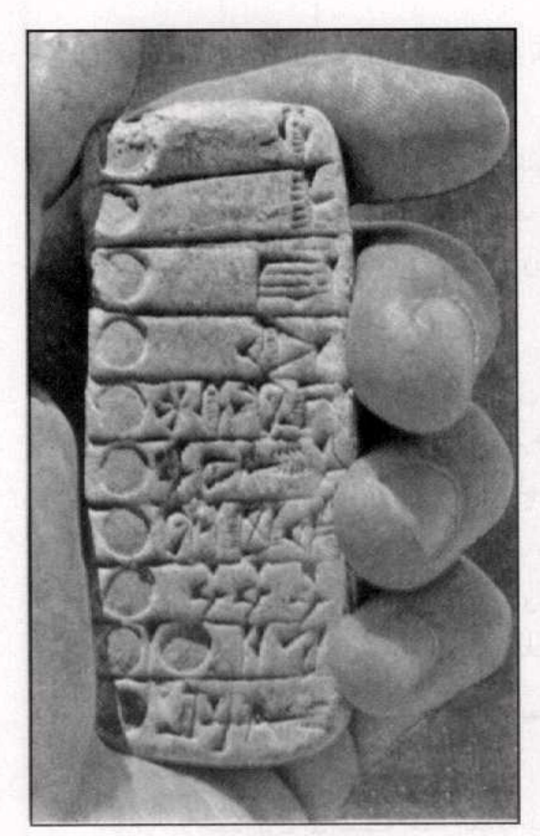
وورد أقدم ذكر لسبأ كـشعب عربى فى النصوص السومرية القديمة، وبذلك كـان السبئيون أول شعب عربى جنوبـى تصلنا أخباره من المصادر التاريخـية. وورد فى هذه النصوص أن شعب سـبأ كان يسكن أول الأمر شمال شـبه الجزيرة العربية، ثم ارتحلوا إلى جنوب شبه الجزيرة واسـتقروا فى منطقتى صرواح ومأرب وأقاموا دولتهم هناك. ووصفت التوراة أرض سبأ (شبا) بأنها كانت تصدر اللبان، وأنها كانت ذات تجارة كبيرة، وأن تجارها كانوا يتاجرون مع العبرانيين وأن أرضهم عرفت بغناها ووجود معدن الذهب بها.

وذكرت التوراة رحلة ملكة سـبأ إلى فلسطين على عهد حكم الملك سليـمان الحكيم حوالى سنة ٩٥٠ق م، لكنها لم تذكر اسم هذه الملكة. كذلك قص القـرآن الكريم قصة ملكة سبأ والنبى سليمان دون أن يذكر اسم هذه الملكة وأورد أنها وأهلها كانوا يسجدون للشمس من دون الله. قال تعالى:

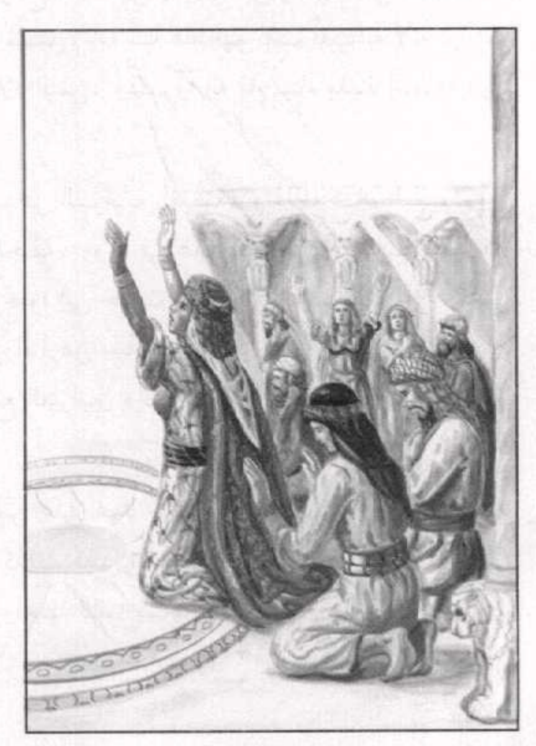


﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴿٢٠﴾ لأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [النمل].

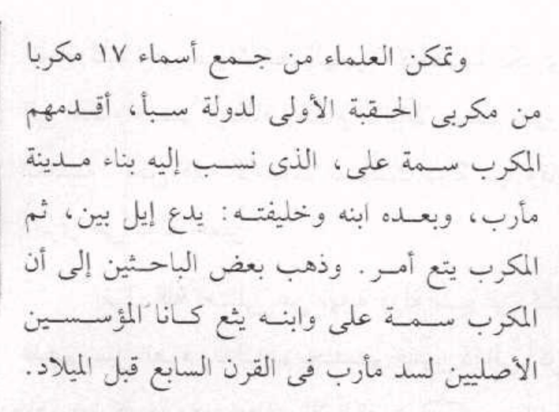
وقد ذكر المفسرون المسلمون وأهل الأخبار أن بلقيس هو اسم هذه الملكة السبئية وأنها كانت معاصرة للنبي سليمان بن داود عليهما السلام.



نموذج من الخط السومرى (المسمارى) الذى ترجع إليه اللغات السامية



وقد تبين من الكتابات السبئية أن فترة حكم ملوك سبأ انقسمت إلى حقبتين: الحقبة الأولى من سنة ١٠٠٠ إلى ٦٥٠ق م، وهى أقدمها، وقد حمل حكامها لقب المكارب، ومفردها مكرب (مقرب) دون أن يتخذوا لقب ملك. والحقبة الثانية من سنة ٦٥٠ق م إلى سنة ١١٥ق م، وهى الحقبة التى اتخذوا فيها لقب ملك وصاروا يعرفون بملوك سبأ حتى نهاية دولتهم.





تمثال حاملة القرابين القرن ١ م
– جنوب الجزيرة العربية

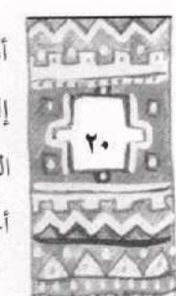
وتمكن العلماء من جمع أسماء ١٧ مكربا من مكربي الحقبة الأولى لدولة سبأ، أقدمهم المكرب سمة على، الذى نسب إليه بناء مدينة مأرب، وبعده ابنه وخليفته: يدع إيل بين، ثم المكرب يتع أمر. وذهب بعض الباحثين إلى أن المكرب سمة على وابنه يثع كانا المؤسسين الأصليين لسد مأرب فى القرن السابع قبل الميلاد.

ومن ملوك الحقبة الثانية الملك كرب إيل وتر وابنه سمه على ذرح، وقد اتخذ هؤلاء الملوك ومن حكم بعدهم دولة سبأ مدينة مأرب عاصمة لهم.

وترينا كتابات العهد الأخير من حكم دولة سبأ أن الوضع فى الدولة كان قلقا مضطربا وأن حروبا متوالية كثيرة قد وقعت لم يكن فيها من منتصر، وأن هذا الوضع أضعف دولة سبأ وأطمع الأحباش فيها. كذلك تأثرت هذه الدولة فى أواخر أيامها تأثرا كبيرا بانهيار سد مأرب، الذى وقع ما بين سنوات ٦٥٠ ـ ٦٣٠ ق م، مما أدى إلى غرق أراضيها الزراعية وهجرة قبائلها عنها إلى سائر

آثار سد مأرب





أنحاء شبه الجزيرة وتشكيل الهجرة القحطانية الكبرى، فضلا عن تحول التجارة عنها إلى حكام مصر البطالمة وقيام الأنباط عنهم بدور الوسيط التجارى فى التجارة العالمية. لكل هذه الأسباب سقطت دولة سبأ وقامت على أنقاضها دولة عربية أخرى هى دولة حمير.

يقول الله تعالى عن نهاية دولة سبأ فى كتابه العزيز: ﴿ **فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلاَّ الْكَفُورَ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾** ﴾ [سبأ].

٢ـ مملكة حميَّر:

كانت حمير من القبائل العربية الكبيرة المعروفة فى منطقة ريدان جنوب شبه جزيرة العرب، وهم ينتسبون إلى حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، وقد وصل خبر دولة حمير إلى اليونان والرومان وذكروا أن عاصمتهم كانت مدينة ظفار، ويطلق أهل الأخبار لقب تُبَّع على الملوك الحميريين الذين حكموا اليمن ويُجمع بالتتابعة. وقد قيل إن التبع ملك يتبعه قومه ويلتزمون بطاعته، وإن أول من لقب منهم بذلك الحارث بن ذى شمر وإن هذا اللقب ظل فيهم إلى أن زالت مملكتهم على يد الأحباش بعد غزوهم اليمن.

ويرى بعض الباحثين أن سنة ١١٥ قبل الميلاد هى سنة نشوء مملكة حمير وظهورها إلى الوجود بصورة فعلية، ولهذا صار الحميريون يؤرخون بها لما لها من أهمية سياسية عندهم. ولم تلبث دولة حمير أن ازدهرت واستوى عودها وتقوت ودخلت فى حرب مع السبئيين وانتصرت عليهم واحتلت بلادهم، وصار ملوكها، بعد ذلك، يعرف كل واحد منهم «بملك سبأ وذى ريدان»

وقد انقسم حكم دولة حمير إلى فترتين زمنيتين، الأولى عرفت بدولة حمير الأولى فى الفترة ما بين سنوات ١١٥ ق م حتى سنة ٣٠٠ ميلادية، وعرف ملوكها بملوك سبأ وذى ريدان. والفترة الثانية من ٣٠٠ ميلادية حتى نهاية الدولة سنة ٥٢٥ ميلادية، وقد أخذ كل ملك من ملوكها لقب «ملك سبأ وذو ريدان وحضرموت ويمنات» وذلك بعد أن تغلبت حمير على حضرموت وضمتها إلى أملاكها.



ومن ملوك حمير ذكـر الأثريون ٢٢ ملكا، كان أشهرهم فى الدولة الأولى الشرح يـحصب، وياسر يهـصدق، وابنه الملـك شمر يهـرعش الأول الذى حكم حوالى سنة ١٤٠ميلادية ويعد من أعظم ملوك حمير.

ومن ملوك العصر الحميرى الثانى المشهورين: الملك أبو كرب أسعد، الذى يزعم الأخباريون عنه أنه أول من اعتنق اليهودية من الملوك الـتتابعة ونشر اليهودية بين أهل اليمن. وينسب إلى هذا الملك أقـدم قانون سنه لشعب سـبأ وأهل مأرب وما والاها فى تنظيم البيوع بالمواشى والرقيق.

وكان الملك يوسف ذو نواس آخر ملوك حمير، وقد اعتنق هذا الملك اليهودية وقام بتعذيب نصارى نجران، وكـانت نهايته باحتـلال الأحباش لليمن من سنة ٥٢٥ مـيلادية حتى سنة ٥٧٥م. ولقـد روى القرآن الكريم قـصة تعـذيب ذى نواس للنصارى النجـرانيين فى قوله تعـالى: ﴿ **قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ ۝٤ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝٧ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ۝٨** ﴾ [البروج]، وورد أن عدد قتلى نصارى نجران على يد ذى نواس بلغ عشرين ألفا».

ولقد سلطت الدولة الرومانيـة الأحباش النصارى على ذى نواس للانتقـام منه وما فعله مع أبناء ملتهم بغزو أراضيه والقضاء على حكمه، وكانت بلاد الأحباش آنذاك ولاية رومانية مسيحية. فأغار الأحباش على اليمن بعد أن طلب الإمـبراطور الرومانى جستنيان (٥١٨ـ ٥٢٧م) من نجاشى الحبشة غـزو اليمن والثأر للمسيـحيين الذين أحرقهم ذو نواس فى نجران. فـأرسل النجاشى أحد قـواده ويدعى أرياط على رأس ٧٠ ألف جندى لغـزو اليمن سنة ٥٢٥م عن طريق البـحر. وقـد نجحت هذه الحملة فى مـهمتها التى أنهـتها بقتل ذى نواس واحـتلال بلاده. وبذلك سقطت بلاد اليمن ودولة حـمير تحت حكم الأحبـاش، وقد قيل بأن ذا نواس انتـحر باقتحـامه بفرسه البـحر والموت غرقا.

ولقد ظل أرياط الحبشى يحكم اليمن من قبل النجاشى حتى ثار ضده قائد آخر يدعى أبرهة الأشرم الذى استطاع الانتصار عليه وقتله والحلول مكانه فى حكم اليمن. ووافق ملك الحبشة على تولى أبرهة حكم اليمن بعد قتل أرياط.

وانصرف أبرهة لنـشر المسيـحية فى اليـمن وجنوب شبه الجـزيرة، ومن أجل ذلك بنى فى صنعاء كنيسـة كبرى زينها بأحسن زينة وأسماهـا العرب «القليس»، وجعلها محجـا لقبائل العرب



لإقناعهم بالمسيحية وصرفهم عن الحج إلى الكعبة والبيت الحرام. ولما لم تنجح خطة أبرهة فى جذب العرب إلى كنيسته والديانة المسيحية صمم على هدم الكعبة حتى يجبرهم على اتباع قبلته. وخرج أبرهة بجيشه متجها نحو مكة سنة ٥٧٠ ميلادية تتقدمه أعداد من الفيلة لتهدم الكعبة.

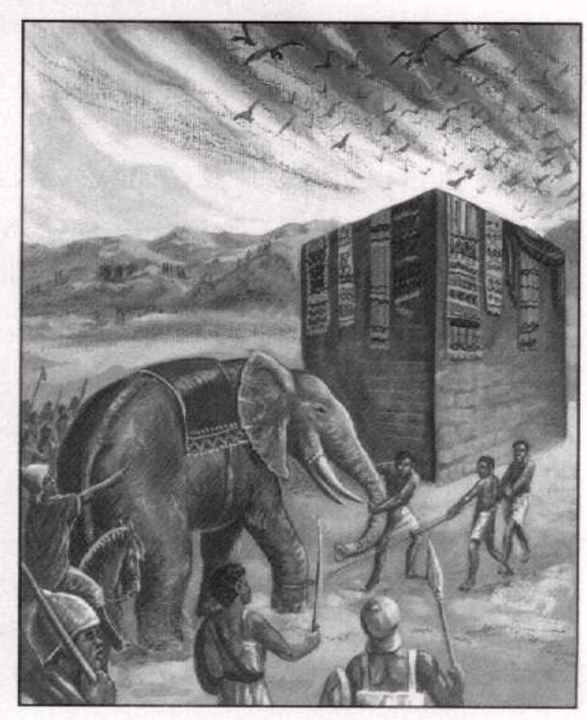
وكان عبد المطلب بن هاشم، جد الرسول ﷺ، يتولى أمر البيت الحرام آنذاك وكان زعيم قريش وكبير مكة. فلما رأى قوات أبرهة متقدمة نحو الكعبة لهدمها بواسطة أفيالها، طلب من قريش أن يخرجوا عن مكة إلى رءوس الجبال. وعندما تقدمت القوات الحبشية نحو الكعبة لهدمها حفظ الله بيته العتيق من الهدم، وقد حكى ذلك القرآن الكريم فى قوله تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾﴾ [الفيل].

ولم ينج من جيش أبرهة إلا القليل ومن بينهم أبرهة، وقد انسحبوا عن مكة عائدين إلى صنعاء وقد أصابهم مرض الجدرى. وما لبث أبرهة إلا قليلا حتى هلك فى صنعاء. ويعرف هذا

العام الذى تم فيه غزو الكعبة بعام الفيل، وقد اتخذه العرب بداية لتأريخهم، كذلك تشرف هذا العام بمولد النبى محمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين.

وخلف أبرهة فى حكم اليمن ابنه يكسوم، ثم خلفه من بعده أخوه مسروق. وقد أساء الأخوان معاملة أهل اليمن، مما أدى إلى تذمرهم من حكم الأحباش ورغبتهم فى الخلاص منهم. وثارت فى أهل اليمن الروح الوطنية والرغبة فى الاستقلال، وتزعم حركتهم الوطنية أحد أمرائهم ويدعى سيف بن ذى يزن. وحاول ذو يزن أن يستعين بالروم فى طرد الأحباش من بلاده فذهب إلى القسطنطينية وعرض الأمر على الإمبراطور جستنيان على أن يحكم اليمن نيابة عنه ويكون واليا مخلصا له.



فرفض جستنيان عرض ذى يزن مؤثرا ولاء الأحباش النصارى له عن اليمنيين. فاتجه سيف إلى المدائن عاصمة فارس للتفاهم فى أمر المساعدة مع ملك الفرس كسرى أنوشروان بعد أن اصطحب معه ملك الحيرة النعمان بن المنذر حليف الفرس، وسيطا له عنده. فوافق ملك الفرس على العرض وجهز لسيف بن ذى يزن جيشا هزيلا من سجناء بلاده يتكون من ٨٠٠ سجين قادهم قائد فارسى عجوز ضعيف البصر يدعى وهرز. وقد سار هذا الجيش فى البحر الأحمر إلى باب المندب فى ثمانى سفن على كل سفينة ١٠٠ جندى. وغرقت سفينتان فى الطريق ولم يصل إلى اليمن سوى ست سفن عليها ٦٠٠ جندى. وانضم اليمنيون إلى جيش وهرز واستطاع سيف بهذا الجيش الهزيل أن يخلص اليمن من الأحباش بعد حكم لها دام لأكثر من ٧٠ عاما.

وحكم سيف اليمن، نائبا عن الملك الفارسى، مقابل دفع جزية سنوية لملك الفرس.

وقام سيف بن ذى يزن بقتل كثير من الأحباش المقيمين فى اليمن، وجاءت نهاية سيف بأن قتله أحد الأحباش. وأرسل كسرى جيشا آخر ثبت به حكم الفرس على اليمن. وظل ولاة الفرس



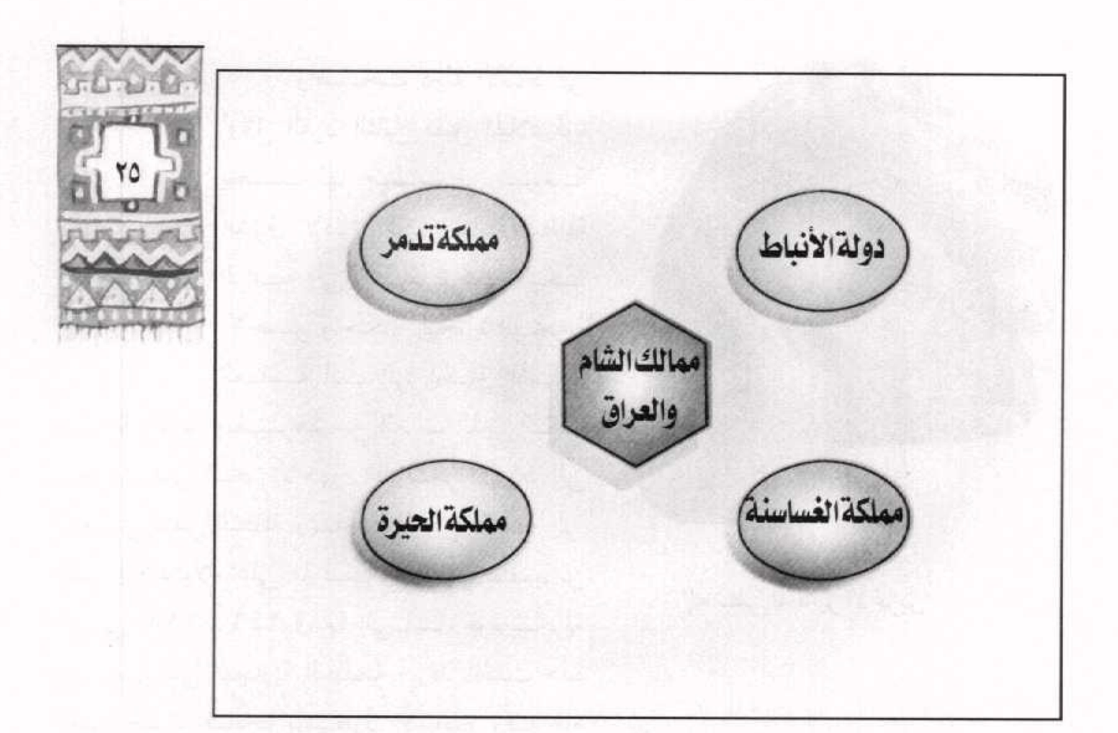
يتتابعون على حكم اليمن حتى كان آخرهم بازان الذى أسلم هو وقومه على أثر ما دار بينه وبين رسول الله ﷺ من مكاتبات. فأقره الرسول على ولاية اليمن وأرسل إليه الصحابى الجليل معاذ بن جبل ليفقه أهل اليمن فى الدين. ومنذ ذلك الوقت دخلت اليمن ضمن دولة الإسلام.



لقد استغلت القبائل العربية حالة الضعف التى ظهرت على الحكومة السلوقية التى قامت فى سوريا فى أعقاب تقسيم دولة الإسكندر الأكبر المقدونى بين قواده، وأخذت فى الزحف من شبه جزيرتها نحو الشمال وقامت بتهديد المدن القريبة من البوادى وحاولت الاستيلاء عليها. ونجحت هذه القبائل، بالفعل، فى الاستيلاء على بعضها وتكوين إمارات أو مشيخات لها هناك، وهى حكومات توقفت حياتها على قوة مؤسسيها وقوة من حكم فيها من بعدهم، كذلك توقف توسعها أو انكماشها على هذا الأمر؛ إضافة إلى أحوال الدول الكبرى التى أقاموا على أطرافها.

وقد علَّمت الطبيعة حكومات العراق وبلاد الشام دروسا فى كيفية التعامل والتفاهم مع هؤلاء الأعراب، وعلمتهم أن القوة والصرامة ضرورية معهم لوقف طموحاتهم والحد من توسعاتهم على حساب أراضيهم، ولذلك أقامت هذه الحكومات مراكز محصنة لها على حواشى الصحراء، ووضعوا فيها حاميات قوية مزودة بالطعام والماء والأهراء لمجابهة غزو الأعراب. وكانت هذه المراكز خطوطا دفاعية أمامية تحول دون تقدم أبناء البادية إلى مواطن الحضر والعبث فيها.

وعلّمت الطبيعة، أيضا، حكومات العراق وبلاد الشام أن القوة وحدها لا تكفى لحماية حدودهم، وأنه لابد من مداهنة الأعراب واسترضائهم، وذلك بالاتفاق مع سادات القبائل الأقوياء ودفع هبات مالية سنوية لهم يرضون عنها مقابل ضبط الحدود وحمايتها من أى هجمات خارجية، والسماح لهم بإقامة إمارات عربية على حدود بلادهم، كانت بمثابة الإمارات الحاجزة جعلت الحكم فيها لرؤساء القبائل العربية الكبيرة. وكانت حكومة تدمر ودولة الأنباط ودولة الغساسنة ودولة المناذرة من هذه الإمارات. وتمتعت هذه الإمارات فى المناطق التى قامت فيها بالاستقلال الذاتى مع الولاء إما لدولة الفرس أو لدولة الروم. لكن هاتين الدولتين الكبيرتين لم تبقيا على استقلال هذه الإمارات طويلا فعملت على القضاء عليها وعلى حكامها، برغم الخدمات التى قدموها لهما، وقاموا بضمها إلى بلادهم. ولمَّا جاء الإسلام وقضى على دولة الفرس وقلص أجنحة دولة الروم؛ ضم هذه الإمارات إلى الدولة العربية الإسلامية الوليدة التى أقامها المسلمون مع مطلع القرن السابع الميلادى، ودخل تاريخها، منذ ذلك الوقت، فى طور جديد متغير.



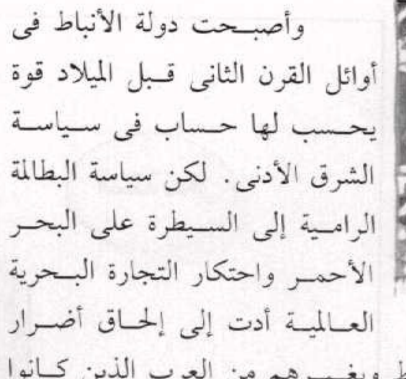
١ ـ دولة الأنباط:

ظهر الأنباط، لأول مرة فى التاريخ، فى القرن السادس قبل الميلاد، كقبائل بدوية فى الصحراء الواقعة فى شرقى ما يسمى اليوم بدولة الأردن، فى المنطقة التى عرفت عند اليونان والرومان باسم: العربية الحجرية، ودولة الأنباط دولة عربية تشقف أهلوها بثقافة آرامية وكتبوا بكتاباتهم وتأثروا بلغتهم حتى غلبت الآرامية عليهم. وقد اتخذ الأنباط كتابة لهم وعرف قلمهم عن سائر الأقلام، واقتبس من هذا القلم الخط العربى المعروف بالخط النسخ،والخط الكوفى، الذى تطور فى الكوفة ونسب إليها.

ولقد ارتحل الأنباط فى القرن الثالث قبل الميلاد نحو الغرب واستقروا فى مواطنهم الجديدة، وتحولوا فى القرن التالى إلى مجتمع منظم متقدم متطور، تحول من حياة الرعى إلى حياة الزراعة والتجارة. ويعد عام ٣١٢ ق م أول تاريخ ثابت وقعت فيه أحداث مؤكدة لهم، وذلك حين نجحوا فى ذلك العام فى صد حملتين قام بهما السلوقيون ضدهم.

ولقد اتخذ الأنباط البتراء عاصمة لهم، وأصبحت هذه المدينة منذ أواخر القرن الثالث قبل الميلاد المدينة الرئيسية على طريق القوافل التى تربط بين جنوبى الجزيرة العربية وبين مراكز الاتجار فى الشمال، وكانت تسيطر على الطريق المؤدية إلى ميناء غزة فى الغرب وإلى بصرى ودمشق فى الشمال وإلى أيلة (إيلات) على البحر الأحمر، وإلى الخليج العربى عبر الصحراء.





وأصبحت دولة الأنباط فى أوائل القرن الثانى قبل الميلاد قوة يحسب لها حساب فى سياسة الشرق الأدنى. لكن سياسة البطالمة الرامية إلى السيطرة على البحر الأحمر واحتكار التجارة البحرية العالمية أدت إلى إلحاق أضرار فادحة بالنبط وبغيرهم من العرب الذين كانوا يتاجرون فى البحر الأحمر. فاضطر الأنباط إلى التحرش بسفن البطالمة وبمهاجمة السفن المتجهة إلى مصر والاستيلاء على ما فيها. فاضطر بطلميوس الثانى (٢٨٥ ـ ٢٤٦ ق م) إلى إنشاء قوة بحرية لحراسة السفن التجارية البطلمية. وقد ألحقت هذه القوة خسائر فادحة بأسطول الأنباط. وقد قام بطلميوس فيلادلفوس بفرض سيطرة البطالمة الكاملة على البحر الأحمر وأنشأ لذلك ميناء بيرينيس، بالقرب من أسوان، على هذا البحر لحماية أسطول تجارتهم، الأمر الذى أثر كثيرا على التجار عموما وعلى تجار النبط على وجه الخصوص.



إله نبطى به تأثير الإغريق



معبد الأنباط فى مدينة البتراء

وبين ملوك الأنباط نجد اسم الحارث (أريتاس) يتكرر كثيرا، وكان الحارث الأول (الذى حكم حوالى سنة ١٦٩ ق م) على رأس قائمة هؤلاء الملوك.

والحارث الثالث هو من أشهر الملوك المتقدمين من النبط، وقد اشتهر بتوسيعه رقعة دولته واستيلائه على مدينة دمشق، كذلك بفتحه باب بلاده على مصراعيه للحضارة اليونانية الرومانية مما أكسبه لقب «محب الهيلينية».


واجهة معبد نبطى

وبلغت مملكة الأنباط ذروتها فى عهد أطول حكامها عهدا وهو الحارث الرابع (الذى حكم فى الفترة ما بين سنة ٩ قبل الميلاد حتى سنة ٤٠ ميلادية)، وقد تابع هذا الملك نشر الحضارة الرومانية فى بلاده. ونحن لا نعرف عن آخر حكام دولة الأنباط غير بعض الحقائق المستخرجة من الكتابات الأثرية المحلية والنقود والكتابات القديمة. ومنذ عهد حكم «عبادة الثالث» (٢٨ ـ ٩ق م) أخذت تظهر فى نقود الأنباط صورة الملكة إلى جوار الملك واستمرت التماثيل النصفية المزدوجة للزوجين الملكيين تظهر منذ ذلك الحين حتى نهاية حكم دولة النبط. وهناك كتابة أثرية على تمثال للملك عبادة الثالث تدعوه بالإله؛ مما يدل على أن الأنباط كانوا يؤلهون ملوكهم بعد الموت. وقد وصفت الملكة على نقود الملك «مالك الثانى» (٤٠ ـ ٧٠م) ابن الحارث الرابع، بأنها شقيقة الملك؛ مما يشير إلى أن بعض الملكات النبطيات كن زوجات شقيقات

مملكة تدمر



للملوك الأنباط الحاكـمين، متبعين فى ذلك عـادة الفراعنة وحكام البطالمة. كذلك أشارت كتابة أثرية إلى أن إحدى زوجات الحارث الرابع كانت أختا شقيقة له.

وتذكـر الكتـابات الأثرية التى وجـدت فى حـوران أن رابيل الثـانى (حكم حوالى ٧١ ـ ١٠٥م) كان آخر ملوك الأنباط. ولم يـعرف بالضبط ما الذى حدث فى عـام ١٠٥ مـيـلادية مما أدى إلى انهـيـار هذه الدولة النبطيـة وضـمـهـا إلى الإمبـراطورية الرومانيـة. وأصبـحت البتـراء، منذ ذلك الوقت، فى ذمة الـتاريخ وزالت من الوجود، ومـا زالت أطلالها تقع الآن على بعد ٥٠مـيلا تقريبا إلى الجنوب من البـحر الميت.

ولقد كانت حضارة الأنباط حضارة عربية فى لغتهـا، آرامية فى كتابتها، سامية فى ديانتها، ويونانية رومانية فى فنها وهندسـتها المعمارية. وهى لذلك حضارة مركبـة، لكنها كانت عربية فى أساسها هيلينية فى مظهرها.

وكانت ديانة الأنباط من النوع الســامى الشائع وأساسها طقوس الخـصب المتصلة بالزراعة، وكان على رأس آلهـتهم الإله (دوشارا) إله الشمس. كـذلك كان الأنباط يعبـدون اللات والعزى ومناة وهبل، كما كانوا يعبدون القمر.

٢ ـ مملكة تدمر:

تنسب هذه المملكة إلى مدينة تدمر، التى كانت عاصمة لها، وهى تعرف عند الغربيين باسم بالميرا، بمعنى مدينة النخيل لكثرة ما كان بها من نخيل.

وكانت تدمر مثل البتراء، مدينة تجارية تقع فى طرف البادية التى تفصل بين الشام والعراق، وهى تبعد ١٥٠ ميلا شمال شرقى دمشق ونحو ١٠٠ ميل عن حمص.

وكانت بداية ظهور هـذه المدينة سنة ١٨٠٠ ق م. وكان غالبية أهل تـدمر من العرب برغم أن كتاباتهم كانت بالـقلم الآرامى واللغة الآرامية شأنهم فى ذلك شأن نبط البـتراء. وعلى العموم فلقد كانت ثقافة مملكة تدمر هى خلاصة جملة ثقافات عربية وآرامية ويونانية ولاتينية.

وكانت تدمر مركزا تجاريا خطيرا ومحطة تجـارية كبرى لمرور القوافل عبر بادية الشام والعراق. وقد خلفت تدمر مكانة البـتراء بعد أن سقطت الأخيرة فى يد الرومان، وانـتقلت أسواق الأنباط إلى أيدى التدمريين. وتولت قوافل تدمر نقل البضائع بين العراق والشام واصلة إلى نهر الفرات.

وعادت هذه الـتجارة بالـثروة الكبيـرة على سكان المدينة، وتجلت آثارها فى المـبانى الجمـيلة المنقوشة التى بنوها وفى معابدهم الفخمة التى لا تزال آثارها الباقية تشهد حتى الآن على غنى أهلها.



إلا أن وجود مثـل هذه الثروة بهذه المدينة، دون أن يكون لها جـيش قوى، أطمع الطامعين فـيها من حكام الشرق والغرب، فطمع فيـها الفرس وأهل العراق، كما طمع فيها اليونانيون والرومان والبـيزنطيون. وقد قام الإسكندر الأكبر المقدونى بضم تدمر إلى إمبراطوريته، وبعد موته، صارت من نصيب السلوقيين.

كذلك حاول الرومـان ضم تدمر إلى دولتهم، وحاول مـاركوس أنطونيوس فتحها عام ٤١ق م إلا أنه لم يفلح فى ذلك، لكن الإمبراطور هادريان نجح فى فتح تدمر سنة ١٣٠م وإدخالها تحت حمايته، ومنحها اسم هاريانا بالميرا.

وظهرت مكانة تدمـر على مسرح السيـاسة العالميـة فى منتصف القرن الثالث الميـلادى خلال حروب دولة الروم مع دولة الفرس الساسانيين. وقـد أنعم، لذلك، الإمبراطور الرومانى جالينوس، بسبب ولاء التدمريين له، على أذينة ملـك تدمر بلقب قنصل، ولقب زعيم الشرق Dux Orientis سنة ٢٦٢م. وقـد جـعل منه هذا اللقب مـا يشـبـه بنائب للإمـبـراطور على القـسم الشـرقى من الإمبراطورية، وأعطيت تدمر درجة مستعمرة رومانية عليا؛ فاكتسبت بذلك حق الامتلاك التام والحرية الكاملة فى إدارة سياسة المدينة والإعفاء من الخراج وحـصول سكانها على حقوق المواطنة الرومانية. وتمتعت بهذه المكانة أيضا فى عهد حكم الإمبراطور كراكلا (٢١١ ـ ٢١٧م).

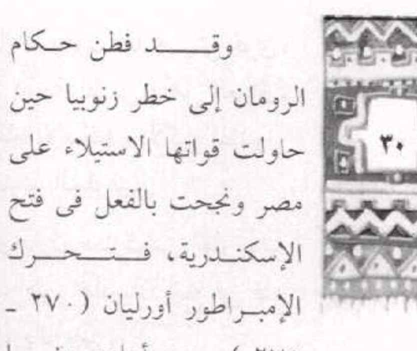
وتبعا لذلك قـامت تدمر بتوسيع تجـارتها وزيادة عدد قوافلهـا، وحصلت لذلك على ثروات طائلة. وتعد الفـترة ما بين سنوات ١٣٠ ـ ٢٧٠ ميلادية أزهى سنى هذه الـدولة، وإلى هذه الفترة ترجع معظم الآثار العظيمة التى خلفتها حضارة هذه الدولة.

وفى سنة ٢٥٠ م اتخذ أذينة ملك تدمـر لنفسه لقب ملك Rex، فتخوف الرومان منه على مصالحهم، فأوعز القيصر إلى أحد رجاله فى حمص باغتياله ونجح فى ذلك، بينما كان أذينة يحتفل بإحدى المناسبات الخاصة.

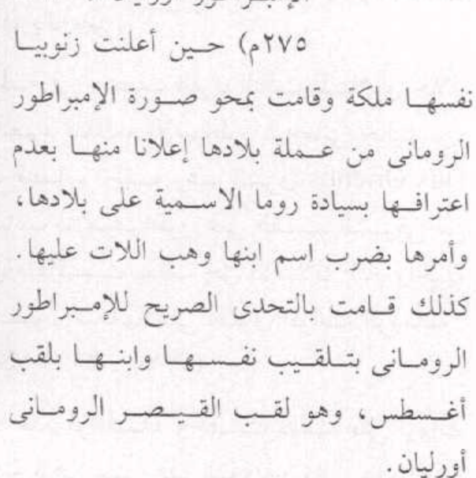
وانتقل الحكم فى تدمر بعد مقتل أذينة، إلى ابنه (وهب اللات) من زوجته الزباء (زنوبيا). ولما كان وهب اللات صغير السن تولت أمه الوصاية عليه وحكمت نيابة عنه حتى بلوغه سن الرشد.

وقد ادعت الزباء قرابتـها من الملكة البطلمية كليوباترا حـاكمة مصر، وادعت الثقافـة اليونانية، وتكلمت باليونانية واللاتينية والآرامية والمصرية.

واتسعت مملكة تدمر فى عـصر حكم زنوبيا فشملت سـوريا وجزء من آسيا الصغـرى وشمالى الجزيرة العـربية ومدينة الإسكندرية. واتبـعت زنوبيا سياسـة عربية تعـتمد على التقـرب من الأعراب والتـودد إليهم والاعـتماد عـليهم فى القـتال والحـروب، وذلك بعد أن أيقنت من طمع الرومـان فى دولتها. فتقربت من العناصر العربية المستوطنة فى المدن، وأخذت تعمل على تكوين دولة عربية واحدة قوية تحت زعامتها. فأخذت زنوبيا فى تكوين هـذه القوة، إلا أن الرومان كانوا أسرع منها فقضوا على مخططها قبل أن تنفذه واستولوا على دولتها وأسقطوا حكمها.



وقـــد فطن حكام الرومان إلى خطر زنوبيا حين حاولت قواتها الاستيلاء على مصر ونجحت بالفعل فى فتح الإسكندرية، فـتـحـرك الإمبـراطور أورليان (٢٧٠ - ٢٧٥م) حين أعلنت زنوبيـا نفسهـا ملكة وقامت بمحو صـورة الإمبراطور الرومانى من عـملة بلادها إعلانا منهـا بعدم اعترافـها بسيادة روما الاسـمية على بلادها، وأمرها بضرب اسم ابنها وهب اللات عليها. كذلك قـامت بالتحدى الصريح للإمـبراطور الرومـانى بتـلقـيب نفـسـهـا وابنـهـا بلقب أغـسطس، وهو لقـب القـيـصـر الرومـانى أورليان.





منحوتة جنائزية، سيدة تحمل على كتفها طفلا
(تدمر القرن الثانى)

القوس الكبير خلف معبد بل - تدمر

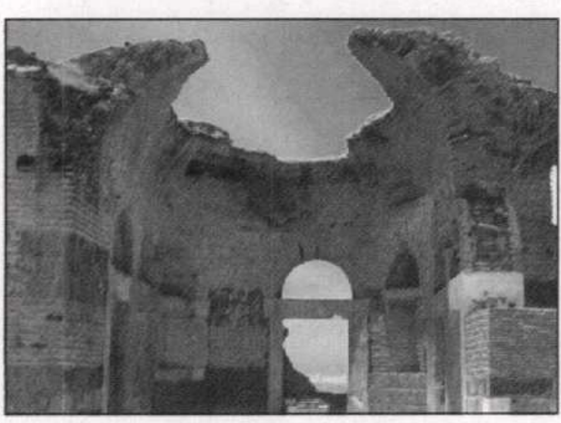




تحرك الامبراطور أورليان سنة ٢٧٢م بقواته لمحاربة زنوبيا، فقام بمحاصرة تدمر وفتحها وهزيمة قوات زنوبيا وقتل ابنها وهب اللات في المعركة ووقوعها في الأسر. واقتصر عقاب أورليان لتدمر بفرض غرامة مالية كبيرة على سكانها وتعيين حاكم روماني عليها وإبقاء قوة رومانية من الرماة بها.

أما زنوبيا، فأخذت أسيرة إلى روما، ودخلتها في موكب أورليان وهي في كامل زينتها مقيدة بسلاسل ذهبية سنة ٢٧٤م. وحددت إقامتها في روما حيث أمضت هناك بقية سني حياتها حتى وفاتها.

ودخل تاريخ تدمر، بعد ذلك، في عالم النسيان، ولكن دولتهم وإن كانت قد انتهت من التاريخ إلا أن آثار ملوكها ما زالت باقية حتى الآن تحكي أمجادهم وتعكس حضارتهم.



قصر ابن وازان ببادية الشام

يوضح طراز البناء في ذلك الوقت

٣ ـ مملكة الغساسنة:

فى حوالى نفس الوقت الذى كانت فيه دولة تدمر فى طريقها إلى الزوال، أى فى أواخر القرن الثالث الميلادى، كان أقوام من قبائل الأزد اليمنية فى طريقهم من اليمن إلى حوران بالشام، وكان ذلك بعد وقوع سيل العرم وانهيار سد مأرب، ليستقروا عند ماء يقال له غسان. وقد عرف هؤلاء القوم، نسبة لهذا الماء، باسم الغساسنة، كما عرفوا أيضا باسم بنى جفنة لأن قائدهم وزعيمهم كان يسمى جفنة بن عمرو وهو مؤسس دولتهم.

وحين وصل بنو جفنة منطقة سهل حوران وجدوا هنالك سكانا من العرب، كانوا قد ارتحلوا إليها قبلهم، وهم الضجاعم من بنى سليم.

وكان شأن الضجاعم قد ضعف هناك فتسيد الغساسنة الأزديون عليهم وأقاموا دولتهم فى حوران. وقد اعتنق الغساسنة المسيحية خلال القرن الرابع الميلادى، واتصلوا ببيزنطة وتحالفوا معها. ووجد الروم فيهم خير معاون لهم فى حماية التجارة ووقف البدو عند حدهم وحماية حدودهم من توسع الفرس. وبلغت هذه الدولة قمة ازدهارها فى القرن السادس الميلادى تحت حكم الحارث بن جبلة، أعظم ملوكها.

ويعد جفنة بن عمرو جد الغساسنة، وقد ولاه إمبراطور الروم ملكا على عرب الشام، وتولى بعده ابنه ثعلبة الذى حكم دولة الغساسنة ١٧عاما، ثم تولى من بعده ابنه الحارث الذى حكم عشرين عاما، ثم ابنه جبلة الذى حكم عشر سنين، ثم ابنه الحارث (الثانى) الذى عرف بالحارث الأعرج، (٥٢٩ ـ ٥٦٩م) وقد ارتفعت مكانة هذا الملك عند أباطرة الروم فعينه الإمبراطور جستنيان سيدا على كل القبائل العربية فى سوريا ومنحه لقب بطريق، الذى يعادل لقب ملك.

ولما كان الحارث مواليا لأباطرة بيزنطة، فقد استمر فى صراعه مع اللخميين وحارب مع الجيش البيزنطى تحت إمرة القائد البيزنطى الشهير بليزاريوس.

وفى سنة ٥٤٤م شارك الحارث فى الحرب التى دارت بين الروم من جهة وبين الفرس وحلفائهم المناذرة من جهة أخرى، وقد وقع ابن الحارث أسيرا فى هذه الحرب وقام المنذر اللخمى بقتله بيده. وانتقم الحارث لمقتل ابنه هذا بعد عشر سنوات فى المعركة الحاسمة التى وقعت بين الغساسنة والمناذرة، وهى التى عرفت فى أيام العرب بيوم حليمة.

وقام الحارث فى سنة ٥٦٣ م بزيارة لبلاط الإمبراطور جستنيان وزوجته الإمبراطورة تيودورا واستقبل هنالك استقبالا حافلا، وحصل، أثناء وجوده فى العاصمة البيزنطية، من الإمبراطور على تعيين يعقوب البراذعى (يعقوب براديوس) أسقفا على الكنيسة المونوفيزيتية السورية، وكان الحارث يعتنق المسيحية على المذهب المونوفيزيتى المخالف للمذهب الملكانى، مذهب الإمبراطور. وانتشر



هذا المذهب المونوفيزيتى، الذى صار يعرف بالمذهب اليعقوبى، فى سوريا كلها أثناء حكم الحارث هذا وحكم ابنه من بعده.

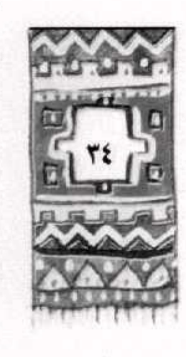
ووصلت مملكة الغساسنة أيام حكم الحارث بن جبلة إلى ذروة اتساعها، وأصبحت بصرى، التى بنيت كاتدرائيتها سنة ٥١٢م العاصمة الدينية فى المنطقة، كما اشتهرت كمركز تجارى، أما العاصمة السياسية للغساسنة فقد كانت مدينة الجابية، فى منطقة الجولان.

وتوفى الحارث بن جبلة سنة ٥٧٠م، وخلفه فى الحكم من بعده ابنه المنذر بن الحارث (٥٧٠ ـ ٥٨١م)، فى نحو نفس الوقت الذى ولد فيه محمد رسول الله ﷺ. وسار الابن على خطى أبيه فدعم قضية اليعقوبية فى بلاده وحارب المناذرة، حلفاء الفرس وانتصر عليهم سنة ٥٧١م فى معركة عين أباغ. ووقع الخلاف بين المنذر والإمبراطور الرومانى الجديد (جستين) الذى تولى الحكم بعد وفاة جستنيان لعدم اتفاقه معه فى المذهب. ولقد كان جستين متحمسا للمذهب الملكانى فباعد هذا الخلاف بينهما حتى أن جستين ارتاب فى ولاء المنذر السياسى له. وتطور الأمر بينهما إلى القطيعة، لكن سرعان ما زالت هذه القطيعة وتصافى الطرفان وعبر المنذر عن مصالحته للإمبراطور بقيامه بزيارة القسطنطينية سنة ٥٨٠م واستقبال الإمبراطور له بالترحاب. لكن العلاقة ساءت ثانية بين الغساسنة وحكام الروم بعد موت الإمبراطور جستين وبخاصة فى عهد الإمبراطور (موريقيوس).

ولقد كان جبلة بن الأيهم، هو آخر حكام الغساسنة، وقد قام هذا الملك بمحاربة المسلمين إلى جانب الروم حين تقدموا لفتح بلاد الشام.

ويقال أنه اعتنق الإسلام بعد معركة اليرموك (١٣هـ/ ٦٣٦م) غير أنه ما لبث أن عاد إلى الروم وتحول إلى المسيحية واستقر فى القسطنطينية حتى وفاته بها سنة ٢٠هـ/ ٦٤٣م.

ولقد خلدت آثار الغساسنة حضارتهم التى أخذوا بمعظمها عن الروم وشيد الغساسنة قصورا فخمة كثيرة ورد ذكرها فى دواوين شعراء الجاهلية والشعراء المخضرمين الذين عاصروا الجاهلية والإسلام معا. كذلك فى شعر الشاعر العربى الكبير النابغة الذبيانى، وفى شعر حسان بن ثابت، شاعر الرسول ﷺ الذى عاش فى بلاط آخر ملوك الغساسنة قبل دخوله فى الإسلام. ومن أبنية الغساسنة الفخمة فى مدينة الجابية: قصر المشتى وقلعة القسطل المجاورة للقصر، وقد برز فيهما الطرازان المعماريان البيزنطى والساسانى. وقد فعل الغساسنة، مثلما فعل الأنباط من قبل، بأن قاموا باستخراج الحروف العربية من الحروف النبطية. كذلك قاموا بنقل الحضارة المادية البيزنطية إلى العالم العربى لتأخذ منها الحضارة الإسلامية، بعد ذلك، ما يناسبها ويتلاءم مع تكوينها ولا يخالف تشريعها وعقيدتها.





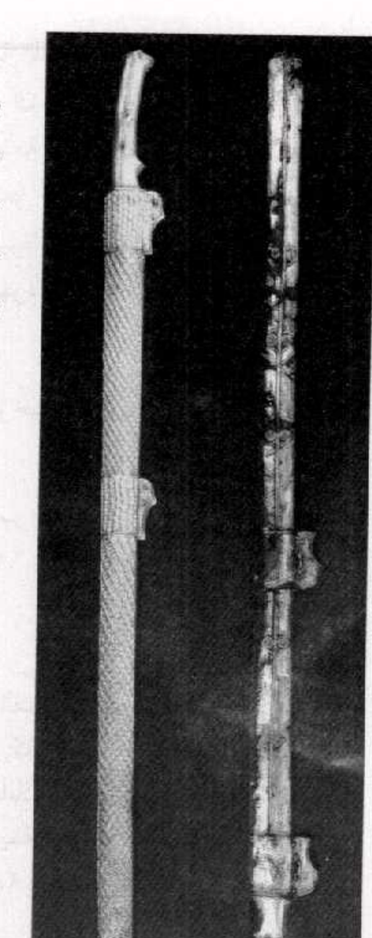
مدخل مدينة الرصافة على حدود إمارة الغساسنة

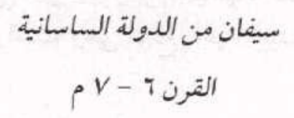


الأقواس التى تعلو الباب الشمالى فى مدينة الرصافة.

٤ - مملكة الحيرة:

كانت إمارة الحيرة تقع على بعد ثلاثة أميال من مدينة الكوفة العراقية على بحيرة النجف، وعلى أرض خصبة تمر بها أفرع من نهر الفرات. وقد أدى ميلاد مدينة الكوفة فى ظل الإسلام إلى أفول نجم الحيرة واندثارها.





سيفان من الدولة الساسانية

القرن ٦ - ٧ م

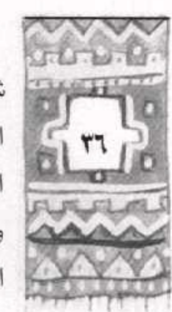
وعرف ملوك الحيرة عند أهل الأخبار باللخميين وببنى نصر وبالمناذرة وينتسب هؤلاء الملوك إلى قبائل تنوخ ولخم اليمنية التى هاجرت، بعد انهيار سد مأرب باليمن، إلى غربى الفرات، ونزلت فى موضع الحيرة وعرفوا هنالك بالعُباد. ويقول معظم الأخباريين أنهم سموا بالعباد لأنهم كانوا على دين المسيحية وتمييزا لهم عن الوثنيين. وقد لحقت بالحيرة أعداد أخرى من عرب اليمن بعد ذلك من غير تنوخ ولخم، وعرفوا هنالك بالأحلاف، وتألف من مجموع هذه القبائل مملكة الحيرة العربية التى عرفت أيضا بدولة المناذرة.

ويرجع تاريخ نشأة هذه المملكة إلى القرن الثالث الميلادى، واستمر قيامها إلى ظهور الإسلام. وقد جاءت هجرة عرب اليمن إلى العراق أيام حكم ملوك الطوائف لدولة الفرس منتهزين فرصة ضعف الدولة الفارسية، لكن ما لبثت دولة الفرس أن تقوّت وتوحدت تحت حكم ملوك ساسان، الذين عملوا على وقف هجرة الأعراب إلى بلادهم وتصدوا لها. وفكر الملك (أردشير بن بابك) الساسانى فى القضاء نهائيا على العرب وإجلائهم عن حدود دولته، لكنه آثر، آخر الأمر، أن يصطنعهم لنفسه ليتقى بهم غارات أقرانهم من عرب شبه الجزيرة، وكذلك ليكونوا عونا لدولة الفرس فى حربها ضد الروم وحلفائهم الغساسنة، فسمح لهم بإقامة إمارة حاجزة على حدود بلاده مثلما فعل الغساسنة حين أقاموا لهم إمارة على الحدود البيزنطية.

مملكة الحيرة

ملوك التنوخيين

ملوك بنى نصر اللخميين المناذرة



ولقد اعتنق معظم أهل الحيرة المسيحية المذهب النسطورى، وهو مذهب شجعه الفرس فى بلادهم نكاية فى الروم. غير أن هنالك جماعة منهم كانت على المذهب اليعقوبى. وكانت الحيرة من المراكز الهامة فى حركة التبشير المسيحية بين العرب، ومنها ذهب قسم من المبشرين إلى اليمن وأجزاء أخرى من شبه الجزيرة. وكان هنالك من ظل على الوثنية من أهل الحيرة وعبد اللات والعزى. وسكن الحيرة مع أهلها جماعة من الأنباط والفرس واليهود.

وانقسم حكم دولة الحيرة إلى قسمين:

القسم الأول يشمل حكم من ملكها من ملوك الأزد التنوخيين، وقد حكموا ٦٦عاما (من ١٩٢ ـ ٢٥٨م).

والقسم الثانى يشمل حكم من ملكها من ملوك بنى نصر اللخميين، الذين عرفوا باسم المناذرة، وقد حكموا ٣٧٤ عاما (من سنة ٢٥٨ إلى سنة ٦٣٢م).

أ ـ ملوك الأزد التنوخيون

كان مالك بن فهم هو أول حكامهم، وقد حكم فى الفترة ما بين سنوات ١٩٢ و٢٠٨ ميلادية، ومات مقتولا، بطريق الخطأ، على يد ابنه سليمة حين كان يعلمه الرماية فأصابه بسهمه، وقد قال فيه أبوه قبل موته شعرا ينعى نفسه فيه. وحكم بعد مالك أخوه عمرو بن فهم، الذى لا تعرف مدة حكمه على وجه الدقة. ثم حكم بعده ابن أخيه جذيمة بن مالك بن فهم، الذى عرف بجذيمة الأبرش، وجذيمة الوضاح (لإصابته بوضح فى جلده) وحكم ٦٠عاما، وكان معاصرا للملك الفارسى الشهير أردشير بن بابك.

وكان جذيمة الأبرش من أفضل ملوك العرب وأشدهم حنكة ودراية وفروسية. وقام بحرب عمرو بن الظرب أمير الغساسنة وانتصر عليه وقتله. ولما مات جذيمة تولى حكم دولة التنوخيين ابن أخته عمرو بن عدى الذى ثأر له من قاتلته الزباء بنت عمرو بن الظرب، وهزم جيشها، فلما أدركت نهايتها قامت بمص سم ادخرته فى خاتمها لمثل هذا اليوم، وقالت وهى تودع الحياة «بيدى لا بيد عمرو» فصارت مثلا.

وبتولى عمرو بن عدى حكم الحيرة ينتقل الحكم فيها من ملوك الأزد التنوخيين إلى ملوك بنى نصر اللخميين، ويعد عمرو بن عدى أول حكامهم.

(ب) ملوك بنى نصر اللخميين (المناذرة):

وأول حكامهم عمرو بن عدى (٢٢٨ ـ ٢٨٨ م)، ثم خلفه فى الحكم بعد وفاته ابنه امرؤ القيس (الأول) الذى حكم حتى عام ٣٢٨م، وينسب إليه بناء قصر المشتى، الذى نقلت أحجار جدرانه المزخرفة إلى متحف برلين بألمانيا.



وخلف امرؤ القيس في الحكم ابنه عمرو، الذي لقب بمُسعِر الحرب، أي موقد الحرب مما يدل على أنه كان محاربا. ثم خلفه في الحكم من بعده أخوه النعمان بن امرئ القيس أشهر ملوك الحيرة (حكم في الفترة ما بين ٣٩٠ و٤١٨م). ولقد اهتم النعمان ببناء جيش كبير من عرب تنوخ ورجالات الفرس وجعل به كتيبتين من الفرسان زودهما بالأسلحة الخفيفة عرفت الأولى منها وهي من تنوخ بالدوسر، وعرفت الثانية الفارسية بالشهباء. كما ينسب إلى هذا الملك بناء قصري الخورنق والسدير، والخورنق هو قصر شتوي بناه في الحيرة، والسدير منتجع صيفي بناه في بادية الشام. وقد بنى الخورنق مهندس معماري من الروم يدعى (سنمار) واستغرق بناؤه عشرين عاما وأراد النعمان أن يحتفظ بسر بناء هذا القصر فكافأ سنمار على بنائه بأن قتله بطرحه من أعلى القصر وبذلك ضرب المثل وقالت العرب لمن يجازي على الخير بالشر: «جوزي جزاء سنمار».

وتولى الحكم بعد النعمان ابنه (الثالث) المعروف بابن ماء السماء (٥٢٠ ـ ٥٥٤م)، وقد كان المنذر من مشاهير ملوك الحيرة لمعاصرته أشهر ملوك الفرس: قباذ وابنه كسرى أنوشروان، كذلك لمعاصرته الإمبراطور البيزنطي جستنيان والحارث بن جبلة أشهر ملوك الغساسنة.

وقد وقعت في أيام المنذر هذا حروبه مع الغساسنة وبخاصة معركة يوم حليمة سنة ٥٥٤م، ومعركة عين أباغ. وتولى مُلك الحيرة بعد وفاة المنذر الثالث ابنه النعمان بن المنذر المعروف بالأسود. وقد وقع خلاف بين هذا الملك والملك الفارسي كسرى أبرويز انتهى بقتل النعمان سنة ٦٠٢م، وكان الشاعر العربي الشهير النابغة الذبياني قد مدح هذا الملك بعدة قصائد وأشاد بمكارمه.

وقد أقام الملك الفارسي على حكم الحيرة، بعد قتله النعمان، أميرا من غير بيت المناذرة يدعى إياس بن قبيصة وأشرك معه في حكم الحيرة قائدا من قواده الفرس. وقد نقم عرب الحيرة على الملك الفارسي بسبب ما فعله بهم وبمليكهم، ولذلك انقلبوا على الفرس وأعلنوا الثورة عليهم وجهزوا قواتهم لمحاربتهم. وقد وقعت بين الطرفين معارك كبيرة عرفت في تاريخ العرب بيوم ذي قار، انتهت بانتصار العرب وهزيمة الفرس وأميرهم على الحيرة.

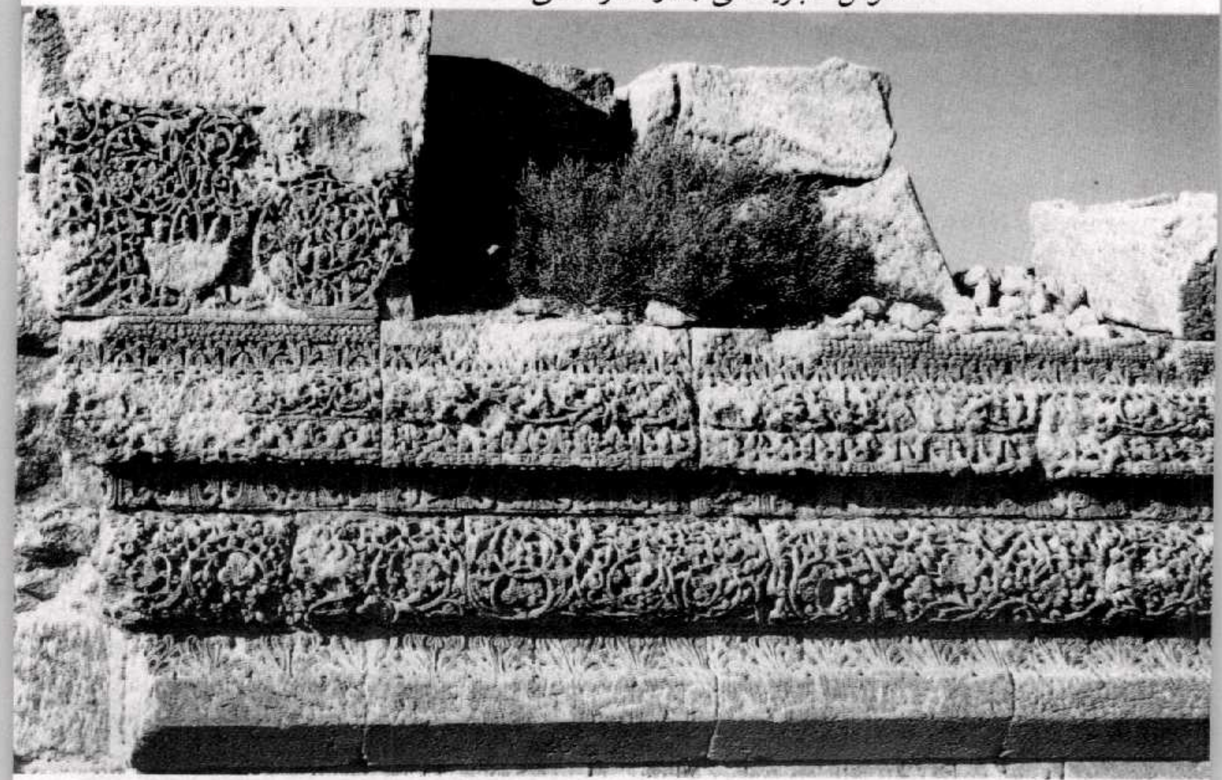
وعلى أثر النصر في ذي قار، انفرد بحكم الحيرة الأمير آزاز بن بابيان الهمداني لمدة ١٧ عاما، وبعد وفاته تولى حكم الحيرة الأمير المنذر بن النعمان بن المنذر الثالث الذي لم يحكم سوى ثمانية شهور حتى قدم خالد بن الوليد العراق وفتح الحيرة ضمن ما فتح، وضم إمارتها سنة ١٢هـ/ ٦٣٥م إلى دولة الإسلام.

وبذلك انتهت مملكة الحيرة وصارت جزءا من دولة الإسلام، وهي دون شك مملكة كانت لها حضارتها الخاصة وإن غلب عليها الطابع الفارسي. ولقد تشبه ملوكها بالأكاسرة في حياتهم الخاصة وبلاطهم وورد على مجالسهم كثير من أشهر شعراء عرب الجاهلية والمخضرمين أمثال: طرفة بن العبد، ولبيد بن ربيعة، وحاتم الطائي، وعنترة بن شداد العبسي، والنابغة الذبياني وغيرهم.



ولقد ازدهر العمران فى عهد دولة المناذرة ويشهد على ذلك بقايا قصرى الخورنق والسدير وبقايا قصر الدوسر وقصر المشتى. وتجلت مظاهر جمال أبنية ملوك الحيرة أيضا فيما بنوه من كنائس وأديرة فخمة، وبخاصة دير هند بنت النعمان بن المنذر الشهير.

نقوش حجرية على جدار قصر المشتى





بلاد الحجاز قبل الإسلام

بلاد الحجاز، جزء من جزيرة العرب. وهو جزء هام لأن به نزل الوحى، وفيه ولد محمد رسول الله ﷺ، وعلى أرضه قامت، أول ما قامت، دولة الإسلام.

وأشهر مدنه: مكة والمدينة والطائف، وأشهر موانيه: جدة وينبع، على البحر الأحمر.





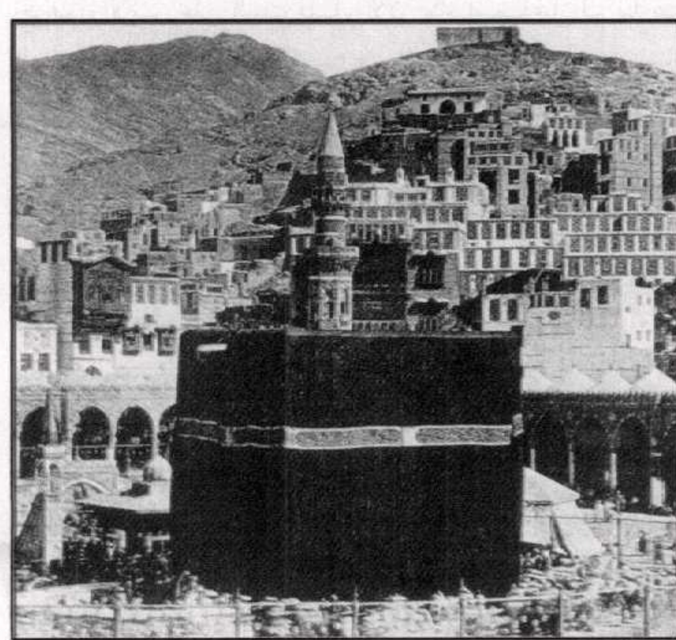
مكة المكرمة

اسم مكة اسم قديم، يدل على البلدة التى فيها «بكة» وهو موضع البيت الحرام، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾﴾ [آل عمران]. وعرفت مكة بأسماء أخرى منها: صلاح، وأم رحم، والباسة، والناسة، والحاطمة، وأم القرى. وللبيت الحرام فضل كبير على أهل مكة منذ نشأتها، وبسببه يقصدها الناس من كل مكان بعيد وقريب حتى اليوم لأداء فريضة الحج. وقد عُرف البيت الحرام بالبيت العتيق وبالكعبة لأنه بناء مكعب الشكل.

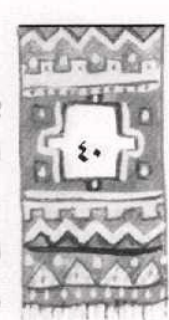
وقد بنت الملائكة هذا البيت عند نزول آدم على الأرض، ثم أغرقته مياه طوفان نوح والسيول التى كانت تنزل على بطن الوادى من جبلى مكة (الأخشبين). وقد كلف الله تعالى نبيه إبراهيم وابنه إسماعيل بإعادة بناء البيت ورفع قواعده.

وتأكيد ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾ [البقرة].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿٢٦﴾﴾ [الحج].



الكعبة المشرفة



وكان العماليق (الهكسوس) أول من سكن مكة، على أثر هجرتهم إليها من بلاد العراق، ثم خلفتهم عليها قبيلة جرهم الثانية اليمانية بعد أن هاجرت إلى اليمن وتغلبت على العماليق. وفى عهد سيادة جرهم على جبال مكة كانت هجرة نبى الله إبراهيم الخليل من العراق وكان نزوله مع زوجته هاجر المصرية وطفله الرضيع إسماعيل بطحاء مكة. وقد استجاب إبراهيم لأمر ربه بترك زوجته وطفله فى هذا المكان الصحراوى الموحش، وتركهما بعد أن دعا ربه لهما قائلا:

﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ (٣٧) ﴾ [إبراهيم].

واستجاب الله لدعاء نبيه وأنبع الماء من تحت قدمى الطفل الرضيع، وكانت بئر زمزم. وجاءت قبيلة جرهم على أثر الماء لتسكن مع السيدة هاجر وطفلها، فهوت أفئدة الناس إليهم ورزقهم الله من طيب ثماره، وقامت الحياة وازدهرت فى تلك البقعة القاحلة من صحراء الحجاز. وقد أمر الله تعالى نبيه إبراهيم أن يؤذن فى الناس بالحج إلى بيته الحرام، وذلك فى قوله تعالى:

﴿ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (٢٧) لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنْ بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ (٢٨) ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ (٢٩) ﴾ [الحج].

وحين وصل إسماعيل إلى سن الشباب، تزوج من قبيلة جرهم، بعد أن أحرز الرياسة عليها، تزوج من رعلة بنت الحارث بن مضاض بن عمرو الجرهمى. وعاش نسل إسماعيل فى جرهم والأمر على البيت لها، لأن أبناء إسماعيل لم ينازعوا أخوالهم على الرياسة. وظلت الرئاسة فى جرهم حوالى قرنين من الزمان إلى عهد آخر رؤسائهم مضاض بن عمرو بن الحارث. وفى عهد رئاسة مضاض حدث أن جفت بئر زمزم ونضبت مياهها، وتغلبت قبيلة خزاعة على جرهم، وكانت خزاعة وهم بنو حارثة بن ثعلبة بن عامر، قد هاجرت من اليمن إلى مكة بعد انهيار سد مأرب، واستولوا على مكة بقيادة زعيمهم حارثة بن عامر، والملقب بخزاعة.

وكان مضاض الجرهمى قد حذر قومه عاقبة الفساد والترف الذى انغمسوا فيه نتيجة للثروة التى حلت عليهم من عائد التجارة، ولكنهم لم يستمعوا له، فلما أيقن مضاض زوال أمر دولته فى مكة عمد إلى بئر زمزم فأعمق حفرها ودفن بها ما كان مدخرا للكعبة مما أهدى إليها من مال وذهب وأهال عليها الرمال، على أمل عودة جرهم للسيادة على مكة ثانية يوما من الأيام فيعيد الكشف عنها وتستفيد جرهم وتتقوى بها. وخرج بنو إسماعيل مع مضاض من مكة، ووليت خزاعة أمر مكة والبيت وكان رئيسهم يومئذ عمرو بن لحى الخزاعى، الذى ينسب إليه إدخال عبادة الأصنام إلى بلاد العرب بعد أن استوردها من الشام، بإحضاره صنما أطلق عليه هبل كان مصنوعا



من العقيق، وضعه في جوف الكعبة وحين كسرت إحدى يدى هذا الصنم استبدلها بيد صنعت من الذهب الخالص. وعد هبل كبير آلهة العرب وكبير أصنامهم، فصاروا يطوفون حوله ويقدمون له القرابين ولبقية الأصنام التى انتشرت حول الكعبة.

واستمرت خزاعة على رئاسة مكة حوالى ثلاثة قرون، حتى تقوت عليها قبيلة قريش وانتزعت الرياسة منها، وكان ذلك، على وجه التحديد، حوالى سنة ٤٤٠ ميلادية، بقيادة قصى بن كلاب، الجد الخامس لرسول الله ﷺ، وقد قام قصى بإجلاء خزاعة عن مكة إلى وادى فاطمة بالحجاز. وقام قصى بإقطاع مكة رباعا بين قومه، فأنزل كل قوة من قريش منازلهم بمكة التى أصبحوا عليها، وسكنوا بطاح مكة، وعرفوا بقريش البطاح، وهم بخلاف قريش الظواهر الذين سكنوا جبال مكة والأحابيش، وهم حلفاء قريش من بنى المصطلق وبنى خزيمة ممن اجتمعوا بجبل أسفل مكة يقال له ذنب حبشى، وهؤلاء بخلاف الأحابيش من الرقيق الأسود الذين اشتراهم أثرياء مكة من بلاد الحبشة وغيرها لخدمتهم والعمل لهم فى مختلف الأعمال.

وقصى من قريش، وقريش كلها من نسل رجل هو: فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. وهى من القبائل العدنانية من مجموعة العرب المستعربة. وقد سمى قصى مُجمعا لأنه جمع قومه من الشعاب والجبال والأودية إلى بطحاء مكة.

واشتهرت قريش بالتجارة وبها عرفت وذاع صيتها بين القبائل، وتمكن رجالها، بفضل ذكائهم ومهارتهم فى أسلوب التعامل، من الاتصال بالدول الكبرى فى ذلك الوقت وبسادات القبائل وتكوين علاقات طيبة معها. كما نجحوا فى عقد إيلاف مع شيوخ القبائل ورؤساء الدول ضمنت الأمان لتجارتهم طوال أيام السنة ولرحلتى الشتاء والصيف اللتين كانوا يقومون بهما شتاء إلى اليمن وصيفا إلى الشام. وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك فى قوله تعالى: ﴿ **لِإِيلافِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِيلافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴿٤﴾** ﴾ [قريش].

ولم تكن فى مكة حكومة مركزية بالمعنى المعروف للحكومة اليوم، فكانت تتألف من شعاب، كل شعب تسكنه عشيرة، وأمر كل شعب لرؤسائه هم وحدهم أصحاب الحل والعقد والنهى والتأديب فيه. وليس لأى شخص مخالفة أحكام هؤلاء الرؤساء، الذين عرفوا باسم (الملأ). وقد كان هؤلاء الملأ يجتمعون فى دار الندوة للتشاور فى أمورهم الهامة، ولم يكن يدخل هذه الدار إلا ابن أربعين عاما أو أكثر. ولم تكن قرارات دار الندوة ملزمة ولا يحصل الإجماع منها إلا باتفاق.



وكان قصى بن كلاب هو الذى ابتنى دار الندوة، لما استوى له أمر مكة، وذكر أهل الأخبار أن من جملة ما أحدثه قصى: الرفادة والسقاية، وهى الطعام وتوفير الماء للحجيج أيام الحج حتى يعودوا إلى بلادهم. وقد فرض قصى على قريش إخراج خراج من أموالهم كل عام يدفعونه له لكى يصنع منه طعاما للناس أيام بقائهم فى مكة طيلة أيام الحج، وقد بقيت هذه السنة فى الإسلام.

وكانت إلى قصى، أيضا، سدانة الكعبة، أى تولى مفاتيحها وخدمتها والإشراف عليها والتكفل بحمايتها وحراستها، كذلك كان إليه اللواء، وهى راية ملونة ترفع على رمح وينصبونها علامة للعسكر إذا توجهوا لقتال العدو. وكان لقصى أربعة أبناء هم: عبد الدار وعبد مناف وعبد العزى وعبد قصى. ولما طعن فى السن وضعف بدنه ولم يعد قادرا على تولى أمر مكة عهد لابنه الأكبر عبد الدار بما كان له من وظائف، ولما توفى قصى سنة ٤٨٠ميلادية، قام عبد الدار بعده بأمر مكة ولم ينازعه أخوه عبد مناف فى ذلك احتراما لرغبة أبيه. واستمر الحال كذلك حتى توفى عبد الدار وعبد مناف، فتنازع أبناء الأخوين على الرئاسة بينهما وانقسموا فى ذلك إلى فريقين فريق مع بنى عبد مناف عرف بالمطيبين وفريق مع بنى عبد الدار وعرفوا بالأحلاف أو لعقة الدم. وكاد القتال أن ينشب بين الطرفين لولا تداعى الناس إلى الصلح والاتفاق على اقتسام الرئاسة بين البيتين بأن يكون لبنى عبد الدار السدانة واللواء والندوة، وأن يكون لبنى عبد مناف السقاية والرفادة، وظل الأمر على هذا الحال حتى مجىء الإسلام.

وكان هاشم بن عبد مناف كبير بنى عبد مناف فتولى أمرهم ولزم السقاية والرفادة حتى وفاته سنة ٤٦٤م، وقد حاول ابن أخيه أمية بن عبد شمس أن ينافس عمه فى زعامة مكة وأن يتولى أمر السقاية والرفادة، لكن القداح حكمت لصالح هاشم وحكمت على أمية أن ينحر خمسين ناقة عند الكعبة وأن يخرج عن مكة إلى الشام مدة عشر سنوات فامتثل لأمر القداح وخرج إلى الشام.

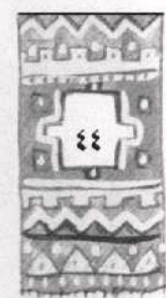
ولقد خلف عبد المطلب بن هاشم أباه فى أمر السقاية والرفادة، ولم يكن لعبد المطلب سوى ولد واحد يدعى الحارث، وقد لقى، بسبب ذلك، مشقة كبيرة وخاصة فى أمر سقاية الحاج؛ ذلك لأن الماء اللازم للسقاية كان يؤتى به من آبار عدة مبعثرة حول مكة، وكانت تجمع وتوضع فى أحواض إلى جوار الكعبة، وكان بئر زمزم قد جف وردم منذ قرون. وجاء هاتف فى المنام لعبد المطلب، وهو نائم فى حجر الكعبة، وألح عليه فى أن يعيد حفر البئر. وتفاءل عبد المطلب من ذلك خيرا وتمنى أن يعيد الحفر للبئر لينبع الماء منها فتخف عنه وعن ابنه مشقة جلب الماء من أماكن بعيدة متفرقة. وكانت المفاجأة لعبد المطلب أن عثر على الذهب والمال الذى كان مضاض بن عمرو الجرهمى قد دفنه فيها قبل خروجه وقومه من مكة.

ونازعت قريش عبد المطلب فيما عثر عليه وأرادت مقاسمته فيه، لكن القداح التى احتكموا إليها حكمت لصالح عبد المطلب، فتقوى عبد المطلب بتلك الثروة على أداء ما عليه من واجب السقاية والرفادة.



ويروى أهل الأخبار أن عبد المطلب كان قد نذر لئن رزقه الله عشرة ذكور حتى يراهم أن يذبح واحدا منهم عند الكعبة قربانا للآلهة. ومع الأيام تحققت أمنية عبد المطلب وصار له عشرة ذكور، وكان عليه الوفاء بنذره، فضرب على أبنائه القداح لاختيار من يقع النذر عليه فخرج القداح على عبد الله، والد الرسول ﷺ، أحب أبنائه إلى قلبه. ولكن القوم منعوه، ثم أشاروا عليه بأن يرضى الآلهة بنحر إبل فدية عنه، وكلما ضرب القداح يخرج على عبد الله حتى بلغ العدد مائة فخرج على الإبل فنحرها بين الصفا والمروة وخلى بينها وبين كل من يريد لحمها من إنسان أو سبع أو طائر، وكانت تلك الواقعة سنة ٥٦٥ ميلادية، أى قبل عام الفيل الذى ولد فيه رسول الله ﷺ بخمس سنوات.





وكان عبد المطلب، سيد قريش حين هاجم الأحباش مكة، بقيادة أبرهة الأشرم، يريدون هدم الكعبة، وقد أشار عبد المطلب على قومه بالتحرز بشعاب الجبال وبترك البيت وشأنه لأنه لا قِبَل لهم به فإن للبيت ربا يحميه. ومات عبد المطلب حوالى سنة ٥٧٨ م بعد أن جاوز الثمانين، ودفن بالحجون، مدافن أهل مكة، وكان ابنه عبد الله قد توفى أثناء حياته.

وكانت حرب الفجار من الحوادث المؤثرة فى تاريخ مكة، وسميت بذلك لوقوعها بين القبائل فى الأشهر الحرم التى حرم الله القتال فيها. وكان يوم نخلة أعظم أيام الفجار، وكانت بين قريش وهوازن، وقد شهد الرسول ﷺ هذا اليوم وهو ابن العشرين وشارك أعمامه الحرب فيه بجمع سهام الأعداء وإعادتها ليرموهم بها. وكان حلف الفضول الذى تألف سنة ٥٩٠م من أهم الأحداث التى يذكرها أهل السير والأخبار فى تاريخ مكة، وكان قد دعى لنصرة المظلوم من الظالم، وقيل أنه سمى بالفضول لأنه قام به رجال من جرهم كلهم يسمى بالفضل، وقد حضر رسول الله ﷺ هذا الحلف وكان معجبا به وقال: «لقد شهدت فى دار عبد الله بن جدعان حلفا ما أحب أن لى به حمر النعم لو دعيت به فى الإسلام لأجبت».

ولقد تفاوت الوضع الاجتماعى فى مكة بين الغنى والفقر، وكان هنالك كبار الأثرياء كما كان هنالك الفقراء المعدمون. وجاءت ثروة معظم أثرياء مكة من التجارة وكان هؤلاء الأثرياء، فى غالبيتهم، قساة القلوب، لا يعينون المحتاج ويقرضون المال بالربا الفاحش ويستعبدون الفقراء ويسترقوهم مقابل ما عليهم من ديون ويسخرونهم فى أشق الأعمال غير عابئين بآدميتهم. وكان بعضهم لا يتورع عن أكل مال الناس بالباطل، وعن إكراه فتياتهم على البغاء ليستولوا على ما يأتين به من مال. وكانت بعض القبائل تقوم بوأد بناتها خوفا من العار أو الفقر والإملاق.

وفى الوقت الذى كان فيه بعض الأثرياء فى مكة يأكلون فى صحاف من ذهب وفضة، ويصلون فى الأكل إلى حد التخمة، ويلبسون الحرير والديباج، ويتحلون بالذهب والأحجار الكريمة، ويقتنون الجوارى الحسان والغلمان؛ كان بعض الفقراء يتضور جوعا ومنهم من كان يقتله الجوع أو البرد.

وأدى هذا التردى فى مجتمع مكة قبل الإسلام إلى الخلل الكبير فى هذا المجتمع، وإلى شيوع الرذيلة والفساد وتفشى الظلم، وكان الأمر فى حاجة ماسة إلى الإصلاح، فقد كانت مكة تعيش على بركان فائر. وجاء الإسلام، وجاءت رسالة محمد ﷺ لتصحح المسار ولتنقذ المجتمع المكى من متناقضاته وتخلصه من أدرانه وتسمو بقريش وتضعها على رأس القبائل العربية كافة.

والحقيقة أن الإسلام هو الذى أعطى المكانة لقريش وجعل لها السيادة على العرب جميعا، وجعل الخلافة فيها. فلولا الإسلام، ولولا أن جاء رسول الله ﷺ منها لكانت قرية عادية كباقى القرى، ولكانت قريش قبيلة كسائر القبائل، لكن قريشا ومكة عزتا بانتسابهما إلى محمد بن عبد الله خاتم أنبياء ورسل الله.



تقع المدينة المنورة على بعد نحو ثلاثمائة ميل شمالى مكة، وهى تحمل أكثر من اسم، فهى: يثرب، وطيبة، وجابرة، ودار الهجرة، وذكر أهل الأخبار أن لها ٢٩ اسما.

ويذكر أهل الأخبار أن أقدم من سكن يثرب فى التاريخ القديم قوم يقال لهم فالج، ثم سكنها العماليق، ثم سكن اليهود فى مواضع العماليق بعد أن أجلوا عنها. وأن قبائل عربية نزلت عليهم وسكنت معهم، وكان الأوس والخزرج وهما قبيلتان يمنيتان آخر هذه القبائل قدوما إلى يثرب على أثر حدوث سيل العرم باليمن.

وقد عقد الأوس والخزرج حلفا وجوارا مع يهود يثرب، فلم يزالوا على ذلك زمنا طويلا حتى نقض اليهود هذا الحلف والجوار وتسلطوا وحدهم على الأمور فى يثرب وقاموا باضطهاد العرب. فاستعان الأوس والخزرج بقبائل عربية أخرى عليهم فغلبوهم وصارت الغلبة للعرب فى يثرب بعد ذلك.

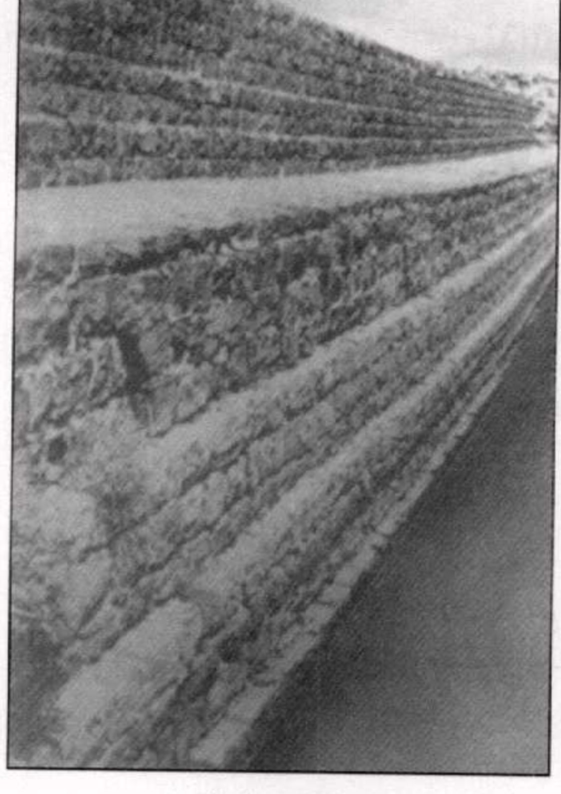
وبالرغم من صلة الرحم القريبة التى كانت بين الأوس والخزرج، فقد وقعت بينهما حروب هلك فيها من الطرفين خلق كثير، وكان اليهود يشعلون نيران هذه الحروب حتى يضعف الطرفان لصالحهم. وكان أشد هذه الحروب وآخرها بين الأوس والخزرج قبل الإسلام، يوم بعاث سنة ٦١٧ ميلادية، وقد ساعدت قبائل غطفان وجهينة الخزرج ضد الأوس فى هذه الحرب. بينما ساعد بنو إياس وبنو النضير وبنو قريظة من اليهود الأوس ضد الخزرج، وانتصرت فيها الأوس على الخزرج.

وقد وفد اليهود الذين سكنوا يثرب خلال القرنين الأول والثانى الميلاديين من فلسطين هربا من الرومان بعد أن أجلاهم عنها الإمبراطور الرومانى تيتوس سنة ٧٠ ميلادية وبعد أن دمر أورشليم وأحرق هيكلهم فيها. كذلك بعد قضاء الإمبراطور هادريان على من تبقى منهم فى مدن فلسطين الأخرى سنة ١٣٥ ميلادية. وكان ضمن الهاربين إلى يثرب ثلاث قبائل يهودية هى: بنو قينقاع وبنو النضير وبنو قريظة. وقد سكن بنو قينقاع وادى بطحان بداخل المدينة، وسكن بنو النضير منطقة العوالى على وادى مذينب، جنوب شرقى المدينة، بينما سكن بنو قريظة وادى مهزور جنوبى المدينة. وقد انتقى اليهود الأراضى الزراعية الخصبة فى يثرب وسكنوا بها وعملوا على زراعتها وبخاصة أشجار النخيل. وقام اليهود فى يثرب ببناء حصون وقلاع لهم فى مواطن سكناهم لحمايتهم، على عادتهم فى بناء الحصون فى أى موقع ينزلون به تحسبا من هجوم العدو عليهم. ومن حصونهم فى



المدينة: حصن ناعم، وحصن أوطاس، وفى خيبر حصن القموص.

وكان أهل يثرب يفدون إلى مكة مع من كان يفد إليها من التجار والحجيج وبخاصة فى موسم الحج.



سور حصن فى خيبر

فتحدث الرسول ﷺ معهم، كما كان يتحدث مع كل وافد إلى مكة، وكان يوافى المواسم كل عام يتبع الحاج فى منازلهم وأسواقهم، ويعرض عليهم الدخول فى الإسلام، ويدعوهم إلى عبادة الله الواحد الأحد ويخبرهم بأنه نبى مرسل، ويسألهم أن يصدقوه ويمنعوه حتى يُظهر الله ما بعثه به. لكن القبائل لم تستجب للرسول الذى لم ييأس فى محاولاته وهو على يقين من أن الله ناصره ومظهر لدعوته. فتطلع فى إحدى المرات عند العقبة إلى وفد تجارى قادم من يثرب، فتحدث الرسول ﷺ معهم، كما كان يتحدث مع كل وافد إلى مكة. وفى هذه المرة وجد آذانا صاغية من أهل يثرب الذين قدر لهم أن يقوموا بدور هام فى حياة النبى ﷺ وحياة الدولة الإسلامية، وليتغير اسمها إلى المدينة المنورة لما كان لها من دور عظيم فى الإسلام وقيام دولته.

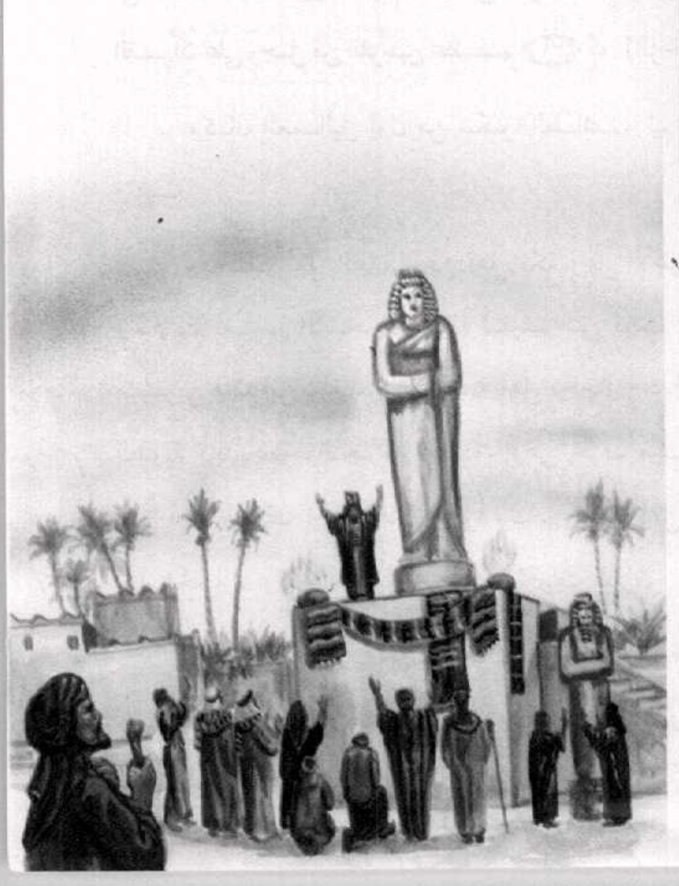
وكانت للرسول ﷺ علاقة خاصة بيثرب، فأبوه قد مات ودفن هناك عند أخواله من بنى النجار من الخزرج، وأمه أخذته إلى هناك وهو طفل صغير لزيارة أخواله وماتت وهى فى طريق عودتها من يثرب إلى مكة عند منطقة الأبواء حيث دفنت هناك.

ولقد عرف النبى ﷺ من وفد يثرب عند العقبة مدى العداوة الواقعة فى مدينتهم بين الأوس والخزرج وتربص اليهود بهما وسخريتهم منهما ووعدهم لهما بمقدم رسول منهم تكون نهايتهما على يديه مثل نهاية قوم عاد وإرم.

وكان وفد يثرب الأول الذى التقى به النبى ﷺ عند العقبة، على بُعْد ميلين عن مكة بينهما وبين منطقة منى، يتكون من ستة أشخاص من الخزرج أراد الله بهم خيرا، دعاهم النبى ﷺ إلى

الدخول فى الإسلام فأسلموا، وعادوا إلى مدينتهم بعد أن وعدوه بالعودة واللقاء فى نفس المكان فى العام القابل. وفى العام التالى (٦١٢م) وافى الموسم فى مكة من أهل يثرب ١٢رجلا، ١٠ منهم مـن الخزرج واثنان من الأوس، والتقوا بالنبى عند العـقبة وبايعوه بالبـيعة التى عرفت ببـيعة العقبـة الأولى، أو بيعة النساء. ولما انـصرفوا إلى مدينتهم بعث معهم النبى ﷺ مصعب بن عمير وعمرو بن أم مكتوم ليعلموهم القرآن ويفقهوهم فى الدين. وكانت بيعة العقبـة الأولى، ثم بيعة العقبة الثانية هى الانطلاقة لدخول غـالبيـة أهل يثرب من الـعرب فى الإسلام، ولأن تـصبح يثـرب دار هجرة للمسلمـين ودار هجرة لرسول الله ﷺ، ثم عاصـمة لدولة الإسلام، وليتـحول اسمهـا من يثرب إلى المدينة المنورة بعد أن أنار الله قلوب أهلها وبصائرهم بالإسـلام وأشعت النور، بدورها، إلى شتى بقاع الأرض وسائر الأركان.

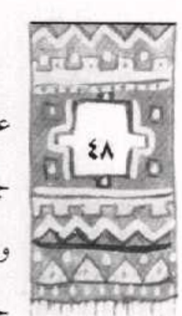






واجهة تمثال العلا الذى وجد فى المعبد اللحيانى

القرن ٣ ق م شمال الطائف



تقع الطائف على مسافة ٧٥ ميلا تقريبا إلى الجنوب الشرقى من مكة، وهى على خلاف مكة، أرض مـرتفعة ذات جو طيب فى فصل الصـيف بها زرع وغنى جادت به أنعم الله على أهله. وقد كانت، ولا تزال، مصيفا طيبا يقصده أهل مكة وسائر بلاد الحـجاز فـرارا من حر الصيف وشـدة القيظ. وتقع الطائـف على ظهر جبل غزوان بارتفاع ستة آلاف قدم عن مستوى سطح البحر. والطائف كثيرة الشجر وثمار الفواكه من أعناب وموز ورمان وتين، وهى تزود مكة بما تحتـاجه من بقول وخضر وفاكهة. وهى إلى جانب زراعتها الغنية، مركز تجارى هام ومحطة للقوافل المتجهة إلى اليمن.

ويقال فى سبب تسمـية هذه المدينة بالطائف أنها كانت قطعة من الجنة اقتطعهـا جبريل عليه السلام وطاف بها حـول البيت العتيق ثم أنزلهـا فى موضعها الحالـى. وهكذا أكسبت هذه الرواية الطائف قدسيـة وجعلت لها مكانة دينيـة. ويبدو أن هذه الرواية وضعت بتأثيـر من سادات ثقيف المتعصبين لمدينتهم والتى يرونها ليـست بأقل مكانة ولا شأنا من مكة، وكانوا يجعلونها موازية لمكة فى المكانة، وقـد ورد عنهم ذلك فى قـولهم كمـا ورد فى القـرآن الكريم: ﴿**وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُـرْآنُ عَلَىٰ رَجُـلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيـمٍ** ﴿٣١﴾﴾ [الزخرف].

وكـان العمـاليق أول من سكنوا الطـائف، ثم سكنتهـا ثمـود، ثم عـدوان، ثم بنو عامـر وثقيف.

ويختلف أهل الطائف عن أهل مكة وعن الأعراب من حـيث ميلهم إلى العمل فى الزراعة وعنايتهم بغـرس الأشجار. وقبيلة ثـقيف التى كانت لها السـيادة مؤخرا فى الطائف كـانوا حضرا مستقرين متقدمين بالقياس إلى بقيـة أهل الحجاز. كذلك تفوقوا فى العمارة وفى اشتغالهم بالحرف اليدوية كالدباغـة والنجارة والحدادة، وهى حرف مسـتهجنة فى نظر العربى يأنف الاشتـغال بها، لكن أهل الطائف احترفوها وربحوا منها. وعاش أهل الطائف فى مـستوى أرفع من مستوى عامة أهل الحجاز، وكوَّن أعيانها ورؤساؤها ثروات كبيرة.

ولقد استغل أثرياء قريش أموالهم واستثمروها فى الطائف، فاشتروا الأراضى الزراعية فيها، كمـا بنوا لهم منازل ومنتجعـات للاصطياف فيهـا، وأسهمـوا مع رؤساء ثقيف فى أعمـال تجارية

مربحة، وحاولوا، قدر إمكانهم، ربط الطائف بمكة فى كل شىء. وهكذا استغل أذكياء مكة الموضع المهم للطائف وحولوه إلى مكان فى حكم التابع لسادات قريش.

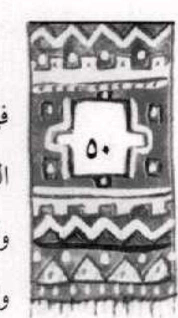
وكان أهل الطائف وثنيين يعبدون اللات، وكانوا قد أقاموا له صخرة مربعة، كانوا يضاهونها بالكعبة وجعلوا لها السدنة والحجاب من بنى معتب بن ثقيف.

وبسبب تبعيتها لمكة، رفضت الطائف دعوة الرسول ﷺ لها للدخول فى الإسلام، وردته ردا قبيحا حين ذهب إلى مدينتهم يدعوهم إلى دين الله، فى العام العاشر للبعثة الذى عرف بعام الحزن. كذلك لقى الرسول مقاومة عنيفة من أهل الطائف حين تقدم لحصارها بعد فتحه لمكة ولما رأت ثقيف قوة دولة الرسول ﷺ بعد فتحه مكة واستسلام قريش له قررت التفاوض معه والدخول فى الإسلام.

الحالة السياسية فى جزيرة العرب عند ظهور الإسلام

يعد القرن السادس للميلاد من القرون الهامة فى حياة البشرية، فقد شهد النصف الأول منه والنصف الثانى أحداثا هامة غيرت وجه البشرية وأوجدت فيها تغييرات هامة كانت لها نتائجها الخطيرة فى القرون التالية.

ففى النصف الأول من هذا القرن ظهر الضعف على الدولتين العظمتين فى العالم آنذاك، وهما دولتا الفرس والروم. وذلك بسبب الحروب الطاحنة التى دارت بينهما بصدد فرض السيادة والسيطرة على العالم، تلك الحروب التى أنهكتهما معا وأدت إلى انهيارهما تماما فى القرن التالى. وفى النصف الثانى من هذا القرن ولد نبى الهدى محمد رسول الله ﷺ، نبى الرحمة، «الذى كان مولده وظهوره وبعثته من أهم الأحداث التى وقعت على مسرح الحياة آنذاك وغيرت مسار التاريخ كله تغييرا تاما»، وجعل السيادة على العالم كله لبلاد الحجاز تلك البقعة من الأرض من جزيرة العرب التى كان الفرس والروم يحتقرون أهلها ويعدونهم مجرد بدو رعاة ليست عندهم إدارة ولم تتيسر لهم حضارة.



وكانت دولة الفـرس، التى سيطرت على النصف الشرقى من العالـم تقريبا فى القرن السادس تخضع لحكم ملوك ساسان، وأشـهر ملوكهم كسرى أنوشروان، الروح الخالدة (٥٣١ ـ ٥٧٩م)، وقد تـولى الحكم وإمبراطوريته يعـمها الاضطراب وتنخر فى عظامها الأدران. وحاول هذا الملك، قدر إمكانه، إصلاح أحوال دولته، واستعان فى حكمه بمستشارين حكماء فى سياسة الرعية وتدبير أمر الدولة.

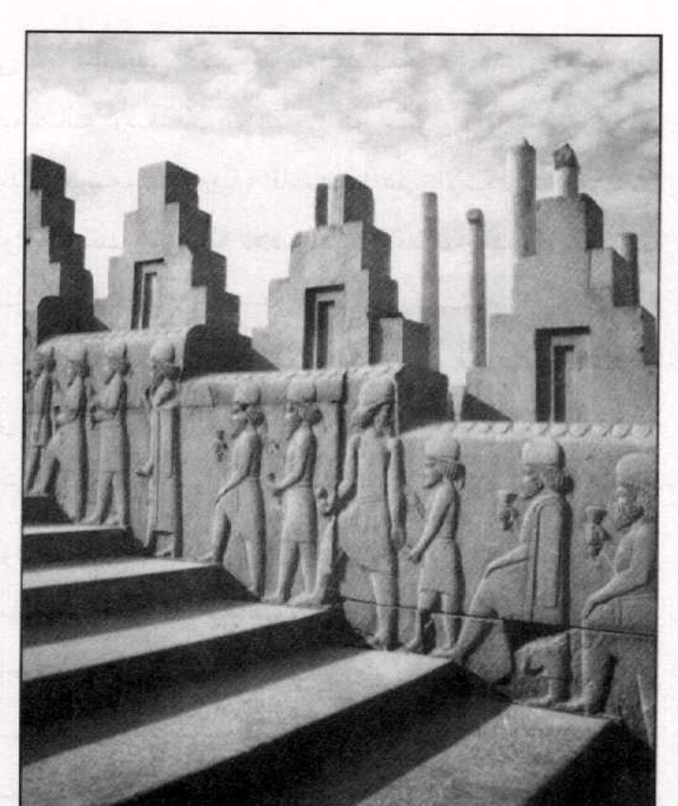
واهتم هذا الملك بالديانة المجوسـية (الزرادشتية) ديـانة الدولة الرسمية وتخليـصها مما دخل عليها مـن انحراف من جانب الدعوات الهدامـة الأخرى التى نادى بها بعض الدعـاة مثل الدعوة المانوية والدعوة المزدكية، التى نادى بهـا كل من مانى ومزدك. وقد قام كسرى بمحاربة المانويين والمزدكيين ومطاردتهم ومحاربة أفكارهم الخطيرة على الديانة الرسمية للدولة وهى المجوسية.



المعبود الفارسى (أهورامازدا) من الذهب ق ١٢ ق م

وحاول كـسرى أنوشروان إصـلاح أحوال بلاده الاقتـصادية والماليـة والعسـكرية بإصدار تشـريعـات جديـدة وقوانين وإدخـال تعديلات على التـشريعات القـديمة مما جعل دولته أقـوى مما كانت عليه فى عـهد والده. ولما أكمل إعـداد جيشـه وتسليحه قـام بغزو سوريا التى كانت خاضعة آنذاك لحكـم الروم وللإمبراطور جستنيان (٤٢٧ ـ ٥٦٥م). فاسـتولى على مـدينة أنطاكيـة الهامـة ودمر أهم معالمهـا نكاية فى أهلها الذين دافعـوا عن مدينتهم وتصدوا ببـسالة لقـواته الغازية. كـذلك أرسل كـسرى حـملة إلى اليـمن لمساعـدة اليمنيين فى إزاحة حكم الأحباش لبلادهم وحلفائهم الروم.

وقد قام كسرى باجتيـاح عدد من مستعمرات الروم فى بلاد سوريا وفـى البحر المـتوسط، ووصلت قـواته إلى أبواب عاصـمة الدولة القسطنطينية. وساعد الفرس على نجاح حملاتهم الحربية على مستعمرات الروم فى ولاياتهم الشرقيـة، تلك الخلافات الدينية التى كانت قائمـة بين أهلها، واضطهاد الدولة للعناصر المسـيحية اليعقوبية المعارضة لمذهب الدولة الملكانى. وقـد ساعد أهالى هذه البلاد الفرس فى الاستيلاء على بلادهم وفـتحوا أبواب مـدنهم لهم ودلوهم على نقـاط الضعف فى التـسليح الرومى كراهـية فى


قصر مدينة برسبوليس الفارسية

الروم، وبسبب سياسة التسامح الدينى التى انتهجها الفرس مع سكان هذه البلاد المفتوحة ممن كانوا على المذهب اليعقوبى والمذهب النسطورى.

ونجح الفرس سنة ٦١٤م فى الاستيلاء على بيت المقدس واستباحة هذه المدينة المقدسة لجنودهم ثلاثة أيام، وقتلوا عددا كبيرا من أهلها، كما أسروا عددا أكثر مما قتلوا، وكان بين هؤلاء الأسرى الأب زكريا، بطريك المدينة. كذلك استولوا على «صليب الصلبوت»، وهو الصليب المقدس الذى يدعى المسيحيون أن المسيح صُلب عليه، ويعدونه أهم آثار المسيحية الدينية، وقاموا بنقله إلى عاصمتهم طيفسون (المدائن). ودمرت حرائق الفرس

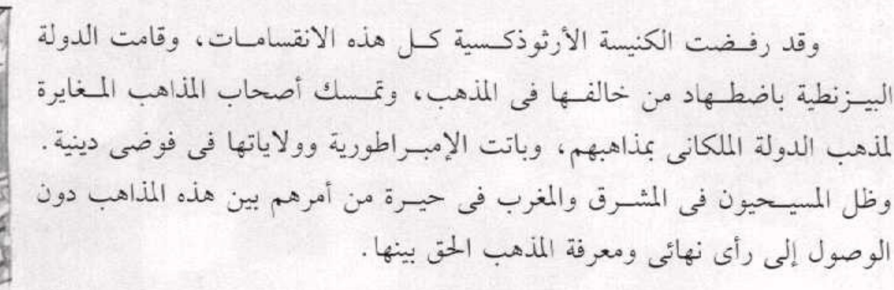
القسطنطينية، كانت عاصمة للبيزنطيين




كنيسة القيامة، التى كان قسطنطين الكبير قد قام بتشييدها فى القدس، وهى من أقدم كنائس المسيحية هناك. وبعد أن أتم الفرس فتح سوريا، قاموا بغزو مصر وفتحها، وكانت آنذاك مستعمرة رومية، فاستولوا على الإسكندرية سنة ٦١٩ ميلادية، ثم استولوا بعد ذلك على بقية بلاد مصر. وقد دوخ كسرى بفتوحاته الروم، إلى أن عاجله ابنه شيرويه بخلعه عن العرش، فاستراح الروم منه ومن انتصاراته. وسرعان ما تغيرت الكفة لصالح الروم بعد ذلك، فما لبثوا أن استردوا من الفرس أكثر مما أخذوه منهم فى تلك الحروب. وقد أضعفت هذه الحروب المتوالية الحكومة الفارسية الساسانية وآذت الشعوب التى خضعت لحكمها وأفقرت بلادها.

ولم تكن مشكلات الروم أهون من مشكلات الفرس بنى ساسان، وأول هذه المشكلات هى المشكلة الدينية التى أوجدت انقساما واضطرابا كبيرا فى الدولة. فعندما صارت المسيحية الديانة الرسمية فى دولة الروم وصار الأباطرة الرومان حماة للمسيحية ورعاة لكنيستها، انقسمت على نفسها وتقسمت إلى طوائف ومذاهب مختلفة متنافرة. وكانت هذه الاختلافات بين هذه المذاهب تمس صميم العقيدة ذاتها، وتختلف فى تحديد طبيعة الله وطبيعة المسيح وطبيعة العلاقة بينهما. وصارت مشكلة الديانة المسيحية وانشقاقها على نفسها من أهم المشاكل التى كان على أباطرة الروم مواجهتها وعلاج نتائجها وآثارها.

ولقد عقدت مجامع دينية كنسية عدة عرفت بالمجامع المسكونية لاتخاذ القرار النهائى بخصوص هذه المشكلة، وانتهى الأمر بأن اتخذت الدولة مذهبا لها عرف بالمذهب الملكانى، واتخذت شعوب الإمبراطورية الشرقية مذهبين آخرين وهما المذهب اليعقوبى والمذهب النسطورى. وبذلك وجد شرخ كبير فاصل بين كنائس الشرق وكنائس الغرب، مما أدى إلى انقسام الكنيسة المسيحية إلى شقين: الشق الشرقى وتمثله كنيسة القسطنطينية ويرأسها بطريركها، وهى التى تحولت، فيما بعد، إلى كنيسة الروم الأرثوذكس. والشطر الثانى وتمثله كنيسة القديس بطرس بروما، ويرأسها البابوات، وهى التى تحولت، فيما بعد، إلى الكنيسة الكاثوليكية. وبين الاثنين بدأت كنيسة الإسكندرية فى الاستقلال بشخصيتها وآرائها، وهى التى تحولت، فيما بعد، إلى الكنيسة القبطية اليعقوبية. كما بدأت كنيسة أنطاكية السورية والعراقية فى الاستقلال بشخصيتها والتمسك بالمذهب النسطورى.

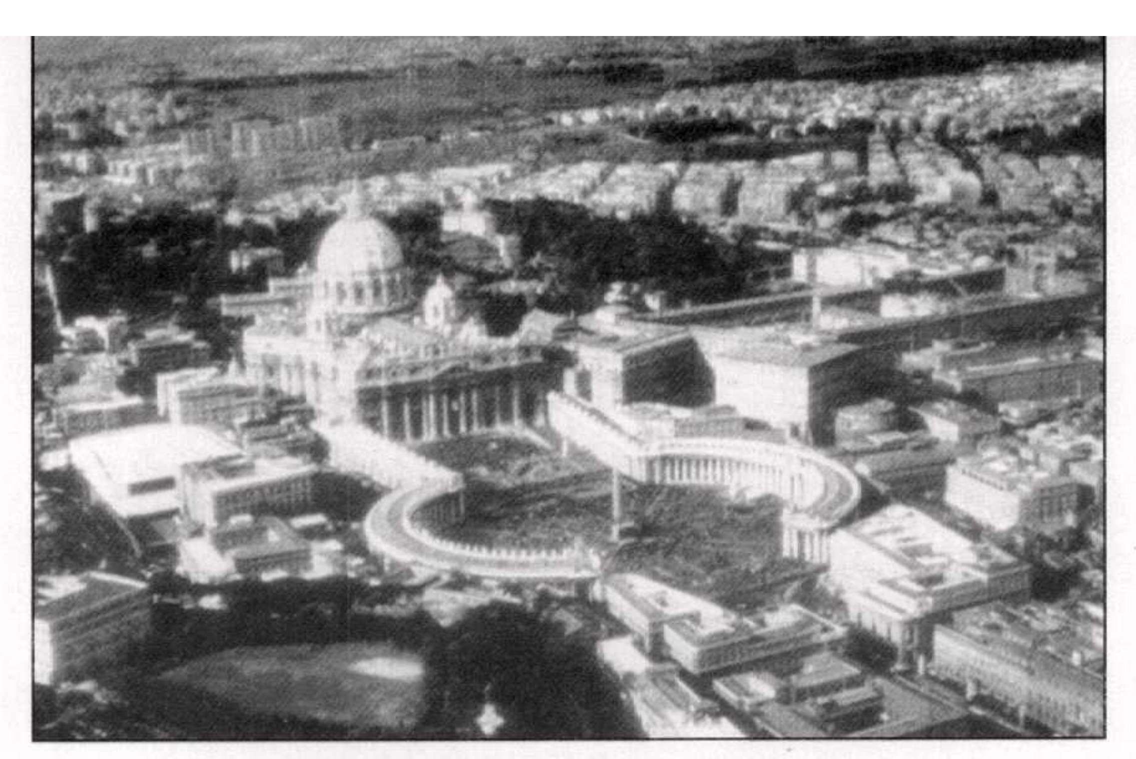


وقد رفضت الكنيسة الأرثوذكسية كل هذه الانقسامات، وقامت الدولة البيزنطية باضطهاد من خالفها فى المذهب، وتمسك أصحاب المذاهب المغايرة لمذهب الدولة الملكانى بمذاهبهم، وباتت الإمبراطورية وولاياتها فى فوضى دينية. وظل المسيحيون فى المشرق والمغرب فى حيرة من أمرهم بين هذه المذاهب دون الوصول إلى رأى نهائى ومعرفة المذهب الحق بينها.

ولم تكن المشكلة الدينية هى المشكلة الوحيدة التى عاشتها الدولة البيزنطية فى العصور الوسطى، فالحرب بينها وبين دولة الفرس كانت من المشاكل التى تؤرقها وترهق اقتصادها وتشيع الفوضى والاضطراب داخلها. وصارت الحروب بين الدولتين تقليدا موروثا لا يتركه أى منهما إلا مضطرا، ولا تعقد هدنة بينهما إلا بدفع جزية كبيرة للطرف الغالب تغنيه عن المكاسب التى يأملها من وراء الحرب، ويدفعها المغلوب صاغرا بسبب الأحوال الحرجة التى يكون فيها آملا تحسن موقفه واضطراب أمور خصمه فينتقم منه. فتاريخ الفرس والروم هو فى حقيقته تاريخ حروب ومهادنات عادت على بلاد الطرفين بأفدح الأضرار.

ولقد هاجم كسرى أنوشروان دولة الروم فى عهد جستنيان واكتسح بلاد الشام، ووقعت أحداث هذه الحرب بين الفرس والروم فى وقت بعثة الرسول ﷺ وهو لا يزال فى مكة قبل الهجرة يدعو الناس إلى عبادة الله الواحد القهار. فلما جاء الخبر بتفوق الفرس على الروم فرح المشركون من أهل قريش لانتصار الفرس الوثنيين مثلهم على الروم من أهل الكتاب، فنزل قوله تعالى: ﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ الرُّومُ ﴿٢﴾ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٥﴾ ﴾ [الروم].

ولقد صدق تنبؤ القرآن الكريم بنصر الروم على الفرس بعد هزيمتهم منهم، وقد جاء هذا النصر فى أعقاب الحرب التى وقعت بين الطرفين فى عهد الإمبراطور هرقل (فى الفترة ما بين سنوات ٦٢٢ ـ ٦٢٨م). فى هذه الفترة أحرز هرقل ثلاثة انتصارات كبرى على الفرس، انتهت بثورة على الملك الفارسى كسرى أبرويز ومقتله على يد ابنه شيرويه بن كسرى. وفى هذه المعارك استعاد الروم جميع الأراضى التى كان الفرس قد اغتنموها منهم. وزاد هرقل على ذلك بأن قام بمهاجمة الفرس فى عقر دارهم فتقدم بجيشه سنة ٦٢٧م، ووصل إلى مدينة نينوى حيث هزم الجيش الفارسى هنالك هزيمة كبيرة اضطر شيرويه على إثرها إلى طلب الصلح مع الروم، وعقد صلح فيه إذلال للفرس سنة ٦٢٨م.



كنيسة القديس بطرس (الفاتيكان) مركز الكاثوليكية

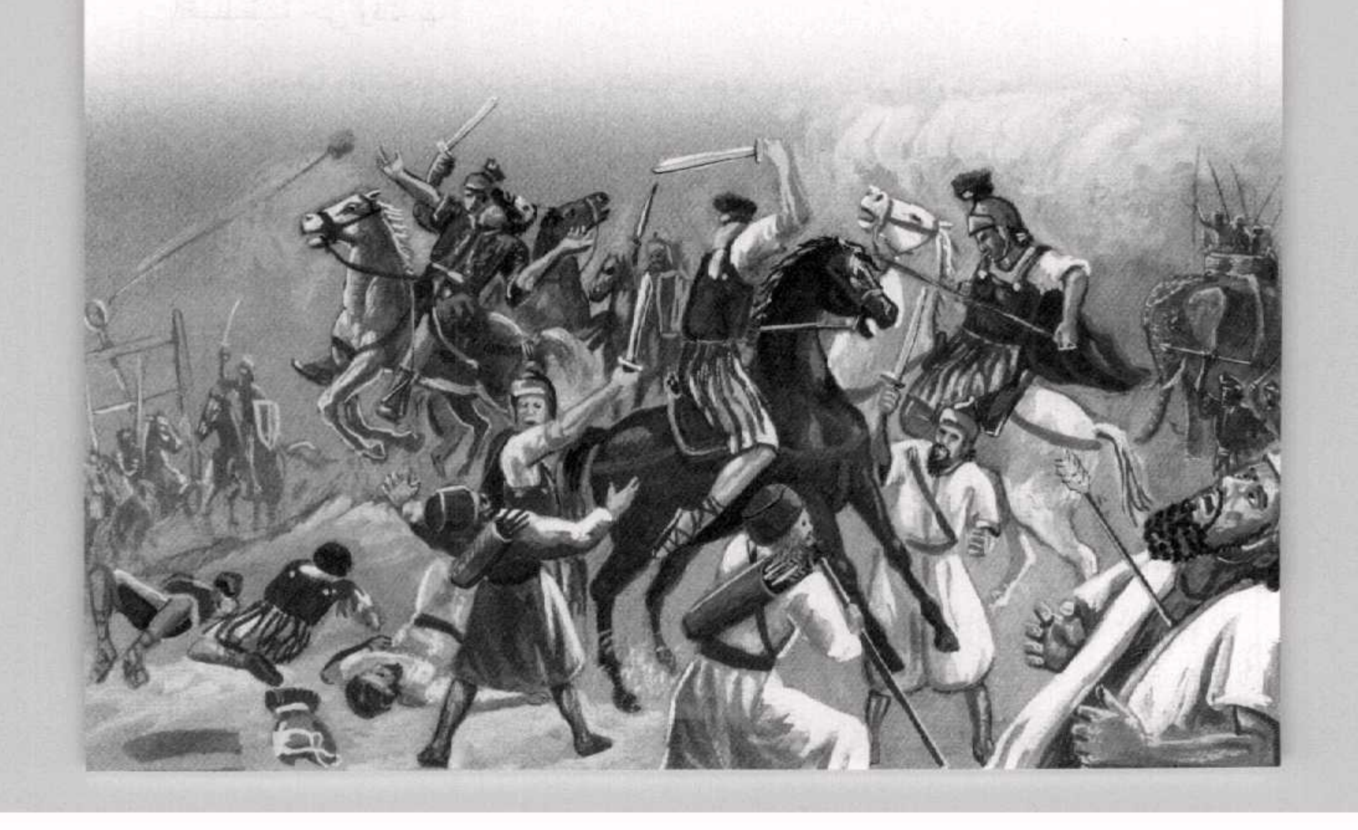
وكان هذا الصلح الأخير بين الفرس والروم نهاية مطاف الحروب الطويلة بين القوتين العظميين آنذاك، وقد أضعفت هذه الحروب كلتيهما وأنهكت قواهما. ولم تكن أى من الإمبراطوريتين تعلم ما كانت تخبئه الأيام لهما، وما كانت عناية الله تعده داخل جزيرة العرب. ولقد سُر المسلمون، وهم بالمدينة، بانتصار الروم على الفرس وبتحقيق وعد الله فى كتابه الكريم، وتفاءلوا بذلك فى قرب مجيء اليوم الذى ينتصر فيه المسلمون على المشركين وقويت عزيمتهم فى التغلب على قريش، وأسلم آنذاك خلق كثير وانحطت معنويات قريش. وشاء الله تعالى أن يكون النصر فى هذه المرة للمسلمين لا للفرس ولا للروم. وقد نجح المسلمون، بعد سنين قليلة، فى ابتلاع مستعمرات الروم فى الشام ومصر، وابتلاع دولة فارس كلها؛ ليكون الجميع أجزاء من دولة الإسلام الكبرى التى تكونت فى عهد الراشدين بعد أن وضع بذرتها الأولى رسول الله الكريم عليه الصلاة وأتم التسليم.

وعند ظهور الإسلام، كانت اليمن تحت حكم الفرس الساسانيين، غير أن حكمهم، فى الواقع، لم يكن حكما تاما فعليا، بل كان حكما اسميا محصورا فى صنعاء وما والاها. أما الأطراف والمدن الأخرى فكان الحكم فيها لسادات اليمن من أصحاب الجاه والنفوذ. وقد كان الفرس الذين أقاموا باليمن، مثل سائر الفرس على الديانة المجوسية، ولما دخل أهل اليمن فى الإسلام دخل بعض هؤلاء فيه وأقام البعض الآخر على دينه وارتضى أن يدفع الجزية للنبى ﷺ. وقد دخل جيل الأبناء فى اليمن فى الإسلام، وهو الجيل الجديد الذى ظهر فى اليمن من تزاوج الفرس مع اليمنيين، وكان لهم فى اليمن نفوذ كبير.

ولقد دخلت قبائل الأزد فى اليمن الإسلام، وجاء وفد منهم إلى الرسول ﷺ على رأسه صرد ابن عبد الله يعلن له إسلام الأزد، فباركهم النبى وأمرهم أن يجاهدوا المشركين من قبائل اليمن. ودخلت الإسلام أيضا قبائل اليمن الأخرى خثعم، ومذحج، ومراد، وهمدان، وعك، وحمير، وهمذان.

أما أهل نجران، فلم يدخلوا فى طاعة الفرس حين استولوا على اليمن ولم يخضعوا لحكم عاملهم وأداروا شئونهم بأنفسهم، وقد قدم وفدهم إلى الرسول ﷺ وأعلنوا إسلامهم فكتب لهم الرسول ﷺ كتاب صلح فى السنة العاشرة للهجرة. كذلك جاء وفد من بجيلة ووفد من خثعم وأعلنوا مبايعتهم للرسول ﷺ ودخولهم الإسلام.

وقد أرسل الرسول ﷺ عمرو بن العاص إلى جيفر بن الجلندى وأخيه عباد بن الجلندى الأزديين، وهما أصحاب عمان يدعوهما إلى الإسلام فأسلما وجميع قومهما. وجاء وفد البحرين من بنى عبد القيس إلى الرسول ﷺ وأعلن إسلامه.





كذلك أسلم عرب هجر وبنو حنيفة باليمـامة وقبيلة طيئ. وكان سيد طيئ أيام الرسول ﷺ زيد الخيل بن مهلهل الطائى، وهو ممن قدم على الـرسول مع وفد قبيلته يعلن إسلامـه وإسلامها، وقد أبدل الرسـول اسمه من زيد الخيل إلى زيد الخـير لزائد كرمه ومروءته. وكان وفد من أسد ضمن الوفود التى وفدت فى عام الوفود إلى المدينة وبايعت رسول الله ﷺ فى السنة التاسعة للهجرة، وكتب لهم رسول الله كتابا.

وكانت دومة الجندل، ومعظم أهلها من بنى كنانة من قبيلة كلب، عند ظهور الإسلام فى ملك أكيدر بن عبد الملك السكونى، وكان على المسيحية. وكان رسول الله ﷺ قد غزى دومة الجندل بنفسه فى السنة الخامسة من الهجـرة فبلغها ولم يلق فيها كيدا لفـرار أهلها منها. وقد أرسل رسول الله ﷺ بعد ذلك خالد بن الوليد ليفـتحها، ففتحها وأسر أكيدر وجـاء به إلى المدينة فعرض عليه الرسول ﷺ الإسلام فأسلم وكتب له كتابا وأقره على ملكه.

أما الغساسنة، فقد ورد فى الأخبـار أن الرسول ﷺ أرسل إلى مليكها الحارث بن أبى شمر الغسانى يدعوه للإسلام، وكان يسكن غوطة دمشق لكنه لم يسلم ومات على النصرانية. ولما ذهب المسلمون لفتح الشام بقيادة خالد بن الوليـد، كان آخر حكام الغساسنة جبلة بن الأيهم يحارب مع الروم ضـد المسلمين وقـد انهـزم، ودخل الإسلام ولكنه ارتد إلى المسـيحيـة وهرب ليعـيش فى القسطنطينية حتى وفاته بها.

وجاءت وفود جذام وعذرة وكلب وغطفان وعبس وهوازن وفزارة وبنى سليم وجهينة لمبايعة رسول الله ﷺ والدخول فى الإسلام فى عام الوفود.

على هذا النحـو كان الوضع السياسـى فى جزيرة العـرب عند ظهور الإسـلام وفى أوائل أيامه: قوى مـستقلة تخشى القـبائل العربية المحيطة بـها، وأذواء وأقيال فى اليمن وحـضرموت، ورؤساء قبائل لهم السيادة والنفوذ على رجال قبائلهم. وكانت هذه القبائل فى غالبيتها فى خصومة واقتتـال مع بعضهم البعض، ولم تتـركهم هذه الخصومـة من الانصراف لإصلاح حال رعـيتهم، فتدهورت أحـوال هذه القبائل وتملكت أهلهـا الحيرة والقلق. وظهر آنذاك أفـراد ينادون بالإصلاح وبتـحكيم العقل فـى جمـيع الأمور والكف عن سـفك الدمـاء ووقف الحرب. وجـاء المبشـرون المسيحيون إلى الجزيرة العربية لنشر المسيحية بين القبائل، فى الوقت الذى نادى فيه الحنيفيون بنبذ الوثنية وترك عبادة الأصنام والعـودة إلى ملة أبيهم إبراهيم. وكان الجميع حيارى تتقـاذف سفينتهم



الأمواج، ولم ينـقذهم إلا ظهور الربـان والحادى والمنقذ البـشيـر والنذير محـمد رسول الله ﷺ الـذى جاء برسـالة الإسلام، ولم يكن الإسـلام على الناس بدين جـديد، بل هو رسالة الله الخـالدة التى بعث بهـا رسله وأنبيـاءه إلى عبـاده على الأرض منذ بداية الحياة. ومـا كان محمد إلا خـاتم الأنبـياء والرسل الذين دعوا إلى وحدانية الله واتبـاع الدين الحق وهو الإسلام، وذلك مصداقـا لـقوله تعالى: ﴿**إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلاَّ مِنۢ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ** ﴿١٩﴾﴾ [آل عمران] وما كانت رسالة محمد إلا نفس رسالة إخوانه الأنبياء والرسل، وقد جاءت ناسخة لما قبلها مهيمنة عليها جامعة فى الدعوة إلى الله إلى يوم قيام الساعة والحسـاب، جاء محمد ليؤكد وحدة الأمة الإسلامـية، مصداقا لقوله تعالى: ﴿**إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ** ﴿٩٢﴾﴾ [الأنبياء]. ولقد شـهدت مكة فى النصف الثانى من القـرن السادس الميلادى حدثا هـاما ارتجت له الجزيرة العربيـة كلها، بل ارتج له العالم كله، وكـان له الأثر الكبيـر فى تغييـر تاريخ شبـه جزيرة العرب وتحـويلها من مـجرد بلاد صحراوية يرتع الرعـاة فيها بحثـا عن الكلأ والماء، إلى بلاد حضارية تسود الدنيـا وتقودها بعد أن تفجـرت من أرضها ينابيع الهـداية، وبعد أن تنزلت فيـها آخر رسالات السـماء إلى الأرض بمولد محمد رسول الله ﷺ ونشأته، والإعداد الربانى له ليـتحول من راعى غنم إلى راعى بشر، وليقود العرب ليسودوا الدنيا ويحكموا العالم ويرفعوا راية (لا إله إلا الله) خفاقة فى الآفاق.

ولقد أوجد محمـد لجزيرة العرب وجها جديدا من وجوه الحياة لم تعـشه طوال حياتها ولم تكن تحلم به، أوجد لها السـيادة والغنى والعز، وأزال ما كان قد علق بجـسدها من أدران الجاهلية وأمراضها، ووضع لها بذرة الدولة الموحدة القوية التى سرعـان ما اتسعت لتضم إلى جنباتها معظم بلاد العالم القديم، ولتمتد من المحيط الأطلـسى إلى حدود الصين. وقد خرج المسلمون الموحدون إلى خارج جزيرة العرب يفتحون البلاد ويحكمونها باسم الإسلام ويدوخون أعظم الدول ويوقعون بها أشـد الهزائم، كل ذلك فى مدة لا تعـد طويلة فى حساب الزمن. فـالإسلام إذن نهاية حـياة قديمـة وبداية حياة جـديدة يختلف واقع وشكل الثانيـة عن الأولى كل الاختلاف، اخـتلاف إلى الأحسن وإلـى الأعظم، وقد كـان كل ذلك بفضل مـحمد بـن عبد الله خـير من ولدته الـنساء، والمحمود فى الأرض وفى السماء عليه الصلاة والسلام.





الزراعة:

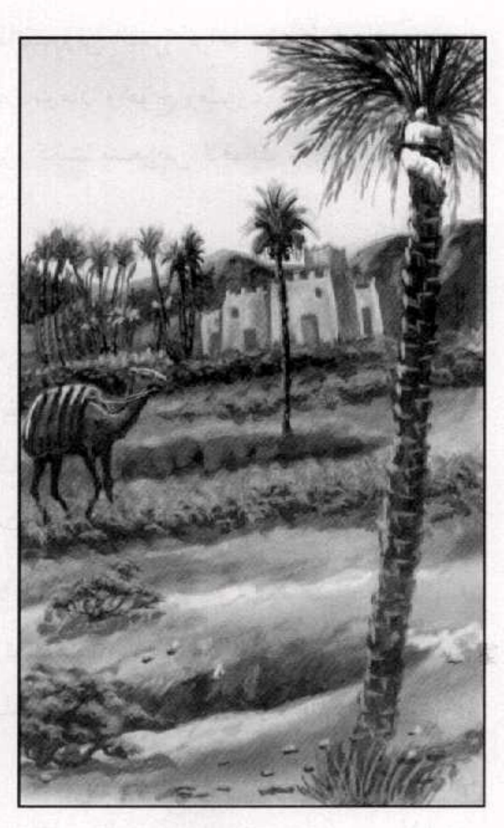
هى عماد ثروة اليـمن وجنوب جزيرة العرب والمواضع التى توجد فيـها مياه الشرب فى الجـزيرة العربية، ولا توجد الزراعة فى الأرض الـصحراوية التى تمثل النسبة الأكبـر من أرض شبه الجزيرة. ولأهل اليمن السبق على غيرهم من عـرب شبه الجزيرة فى الزراعة، وهم ما زالوا يعرفون حتى الآن بمهارتهم فيها. وقد حرص اليمنيون، منذ القدم، حرصا كبيرا على الاستفادة من الأمطار فى رى أراضيـهم كما تبين ذلك من آثار السدود التى أقاموها فى أوديتهم وهى سدود أقيمت لتخزين المياه فى أحواضها والاستفادة منها وقت الحاجة.

وقد قامت الزراعة فى اليمن وجنوب الجزيرة فى الأودية (الأسرار)، وعموما اعتمدت أرض هذه البلاد على الأمطار الموسمية التى غذت أرضها بالماء وولدت فيها الحياة.

واليمامة من الأراضى الزراعـية الخصبة فى جزيرة العرب، وقـد وصفت بأنها ريف مكة إذ كانت تمون مكة بالحبوب، وأودية اليمامة مليئة بالعيون ذات الماء العذب. وفى الحجاز مواضع تكثر فيها العيون والمياه الجارية غرست بالنخيل واشتغل أهلها بالزراعة، وقد وردت أسماء مواضع عامرة آهلة بالسكان فى غـزوات النبى ﷺ وسـراياه تقع جمـيعـهـا فى شمـال المدينة ممتدة إلى حـدود فلسطين. وبين مكة ويثرب بعض مواضع مياه عاش سكانها على زراعة النخيل وبعض الزراعات. وبالمدينة وأطرافها مـواضع عرف الواحد منها بالبـقيع، وهو مكان به مختلف الشجـر، وأشهرها: بقيع الغرقـد وبقيع الخيل والخضـمات. وبالمدينة أودية قامت فيـها الزراعة، أهمهـا وادى مهزور، سكن يهود بنى قريظة. وفى شـرق الجزيرة العربية وجدت مواضع بهـا ماء وزرع مثل هجر، التى اشتهرت بنخيلها وجودة تمورها، والأحساء (الحسا) التى عرفت بزراعة النخيل، وقطر، وكاظمة.

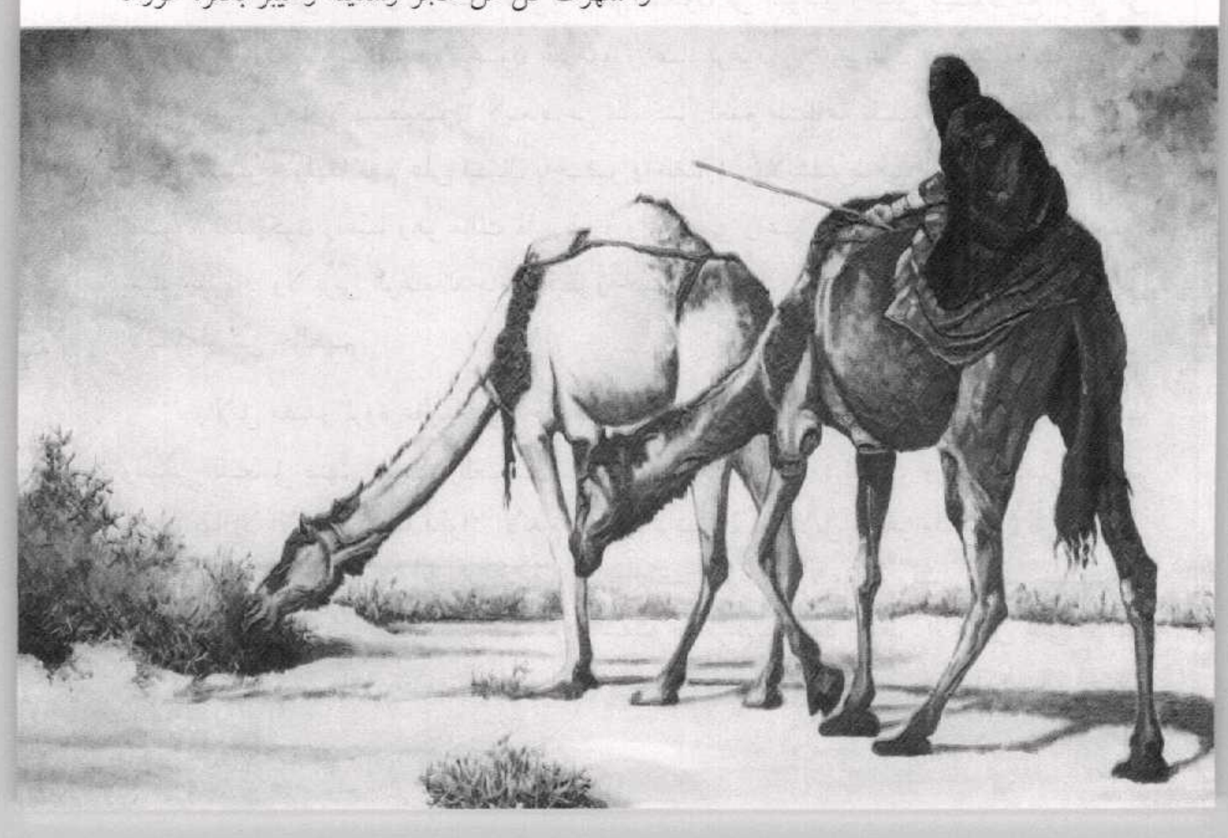
ومن الآلات التى استخدمها العرب فى جزيرتهم لحرث الأرض وزرعها: المحفار، والمخدة، والمعول، والمسحاة، والمعزقة، والميطدة، والمجز. والحيوانات المسـتخدمة فى الحرث الثيران والحمير والخيل والجـمال، واستعـان العرب فى تسمـيد تربة أرضهم بفـضلات الإنسان والحيـوان والطيور والرماد.

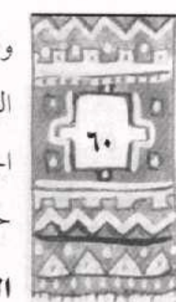




ومن المحاصيل الزراعية التي زرعها العرب قبل الإسلام: الحبوب وخاصة القمح والشعير، اللازمين لصناعة الخبز؛ لأن العرب لم يكونوا يعرفون الأرز آنذاك، ولم يكن طعامهم. وقد عرف أهل اليمن زراعة الذرة واستخرجوا منها شرابًا يُعرف بالمزر، وهو نبيذ الذرة. كذلك زرع العرب سائر أنواع البقول من حمص وعدس وفول ولوبياء، وزرعوا البصل والثوم والقثاء والقرع والبطيخ (الحبحب). وعرف العرب الأشجار الشوكية مثل القتاد والحسك والعوسج.

وانتشرت زراعة النخيل فى كل موضع من جزيرة العرب فيه ماء، وهو أنواع وفصائل كثيرة، واشتهرت كل من هجر والمدينة وخيبر بكثرة تمورها





وجودة أنواعها. وزرع العرب فى الطائف وفى اليمن أنواعا مختلفة جيدة من كروم العنب، وكذلك سائر الفواكه من تين ورمان وخوخ وموز، ويُفهم من النصوص الجاهلية أن الزراعة فى شبه الجزيرة كانت تتعرض لآفات زراعية خطيرة من حشرات وجراد وانحباس المطر.

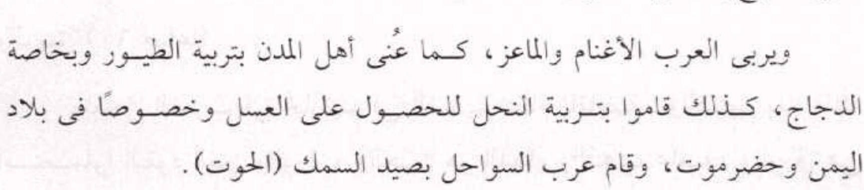
الرعى:

فى جزيرة العرب مراعٍ منها الخاص والعام، والمرعى الخاص إما أن يكون ملكًا لرجل أو لأسرة أو قبيلة تفرض سلطانها على المرعى وتقوم بحمايته، ولذلك عُرف بالحمى. وأما المراعى العامة فهى تكون مشاعًا لجميع أبناء القبيلة التى يقع المرعى فى أرضها أو شعبها. وإذا ارتحلت القبيلة عن أرضها وتركتها ونزل بها نازل جديد صارت الأرض ملكًا له.

والمرعى هو موضع الرعى، والرعى هو الكلأ الذى ترعاه الإبل أو تسوم فيه، ولذلك هم يقولون: «سامت الإبل» فهى سائمة، ويقولون: «رتعت البهائم» بمعنى أكلت وشربت فى خصب وسعة. والانتجاع عند العرب، هو الذهاب فى طلب الكلأ فى موضعه، وكذلك الارتباع وهو يحدث فى فصل الربيع بعد سقوط الأمطار.

والرعاة على صنفين: رعاة الإبل، وهم الممعنون فى البوادى والذين يبيتون مع الإبل فى المرعى لا يأوون إلى بيوتهم ولايرعون غيرها، ورعاة يرعون إبلا ويرعون غيرها معها من بقر وخيل وغنم، وهم لا يستطيعون الابتعاد عن الماء كثيرًا لعدم استطاعة تلك الحيوانات الصبر على العطش كثيرًا، ولهذا فهم على اتصال بالحضر والحضارة. ولايشترط فى الراعى أن يكون أجيرًا لغيره، فقد يكون راعيًا وهو مالك لما يرعى، وإنما سُمى راعيا لأنه اتخذ الرعى وسيلة للحياة يعيش عليها. ولا يربى الرعاة الدجاج والبط والحمام والطيور المختلفة، إنما يربيها أهل الريف من الأنباط أو ممن خالطهم.

والإبل مصدر ثروة عظيمة فى الجاهلية، وبعدد الإبل تقاس الثروات وهو المال عند العرب وأساس التعامل بينهم. ويُطلق العرب على الإبل والبقر والشياه: النَّعم، وإذا أفردت النعم لم يريدوا بها إلا الإبل، أما إذا قالوا: الأنعام، فإنهم يريدون بها الإبل والبقر والغنم. والسائمة هى الإبل الراعية، والجمل هو الحيوان الوحيد الذى ارتضى مرافقة الأعراب ومشاركتهم حياتهم فى البوادى ومشاركتهم مسراتهم وأحزانهم، وهو سفينة صحرائهم. وقد حرص الأعرابى على الإكثار من الإبل النجيبة والتى تُعد مقياس الغنى والثراء عندهم. والإبل من حيث الأصالة أجناس



وأصناف منها الأصيلة ومنها الرخيصة، وتُسمى الأصيلة منها بالنجائب والحرائز، وهى لا تباع إلا عن اضطرار.

ويربى العرب الأغنام والماعز، كما عُنى أهل المدن بتربية الطيور وبخاصة الدجاج، كذلك قاموا بتربية النحل للحصول على العسل وخصوصًا فى بلاد اليمن وحضرموت، وقام عرب السواحل بصيد السمك (الحوت).

التجارة:

لقد كان عرب قبل الإسلام، مثل غيرهم من الشعوب السامية، نشيطين فى عالم التجارة، وتكاد تكون التجارة هى الحرفة الوحيدة عند العرب التى لم ينظر العربى إليها وإلى المشتغل بها نظرة احتقار وازدراء، بل هى عندهم من أشرف الحرف قدرًا ومنزلة، ونُظر إلى التاجر نظرة تقدير واحترام. وقد بقيت للتجارة هذه المنزلة والدرجة أيضا فى ظل الإسلام، وأشير إلى شرفها ومنزلتها فى كتب الحديث والأدب وكان أهل مكة من أبرع التجار وأنشطهم فى الجزيرة العربية قبل الإسلام، وقد أشار القرآن الكريم إلى رحلتيهم السنويتين فى الشتاء والصيف. وكان تجار مكة يقومون بمهمة الوسيط التجارى الذى ينقل تجارة اليمن وجنوب شبه الجزيرة إلى بلاد الشام وحوض البحر المتوسط، وبذلك حصلوا على أرباح طائلة وكونوا ثروات هائلة جعلتهم من أغنى قبائل العرب وجعلت مكة من أخطر مراكز الثروة والمال فى جزيرة العرب آنذاك.

وكان العرب يتاجرون فى بضائع الشرق الخفيفة الحمل المرتفعة القيمة من ذهب وفضة وتوابل وعطور وبخور وثياب مختلفة وأحجار كريمة ورقيق وأسلحة وجلود. وكانت للعرب أسواقهم الثابتة مع أيام السنة يبيعون ويشترون فيها، كما كانت لهم أسواقهم الموسمية التى كانت تُعقد فى مواسم معينة وتنفضّ بانقضاء الموسم، مثل سوق عكاظ الذى كان يعقد لمدة أسبوعين من منتصف ذى القعدة حتى آخره، وسوق مجنة الذى يُعقد بعد الانصراف من سوق عكاظ لمدة عشرة أيام، ثم سوق ذى المجاز الذى كان يُعقد بمنى لمدة الثمانية أيام الأولى من شهر ذى الحجة، ثم يخرجون يوم التروية من ذى المجاز إلى عرفة، ويكون يوم التروية نهاية أسواقهم. وكان العرب لايتبايعون فى يوم عرفة ولا فى أيام منى، فلما جاء الإسلام أحل لهم ذلك.

وكانت هنالك طرق للبيع معروفة عند العرب مثل بيع الحصاة، وبيع الملامسة، وبيع المنابذة، وبيع التناجش، وبيع المزابنة، وبيع المخاضرة، وبيع المعاومة. واستعمل العرب فى تجارتهم



الوزن والكيل، ومن أوزانهم: الرطل والأوقية والدرهم والدانق والمثقال والحبة. ومن مكاييلهم: المد (وهو رطلان)، والصاع (٤ أمداد)، والقفيز (٢٠٠ لتر)، والوسق (٦٠ صاعا).

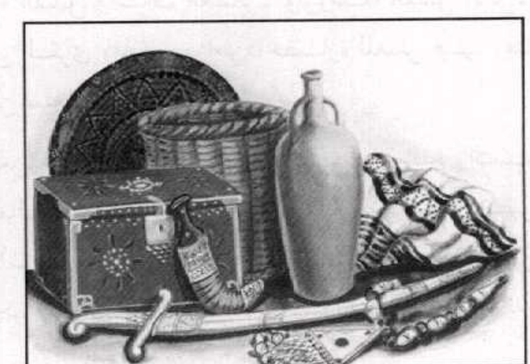
وتعامل العرب فى تجارتهم فى القديم بنظام المقايضة، ولكنهم بعد ذلك استعملوا النقود العين والورق، والعين هو الدينار والذهب عامة، والورق هى الدراهم المضروبة من الفضة أو الفضة عمومًا. وقد شاع الربا فى الجاهلية بين العرب وبين غيرهم من الشعوب السامية. وقد حرم الإسلام الربا وأحل البيع.

الحرف والصناعات:



تأتى بلاد اليمن فى مقدمة أجزاء جزيرة العرب فى قيام الحرف والصناعات بها، وتفوقت فى ذلك المجال عن غيرها من الأماكن الأخرى. وبرزت اليمن فى إنتاج صناعات كثيرة ولم تكتف بتصنيع واحد، وذلك بسبب توافر المواد الأولية اللازمة للصناعة بها. فتوافر بها معدن الحديد الذى قامت عليه صناعة الأسلحة عندهم، وبخاصة صناعة السيوف اليمنية المشهورة. كذلك توافرت عندهم الأخشاب والجلود مما أدى إلى قيام صناعات خشبية وجلدية اشتهرت بها اليمن وارتبط اسمها بها. كذلك وُجدت مناجم للذهب باليمن ومناجم للفضة. وعرفت اليمن الرصاص والنحاس والعقيق. واشتهرت اليمن بصناعة النسيج وبخاصة الثياب ذات الشهرة من أمثال: الخال والوصائل والمراجل والمعاجر، وهى أثواب نسائية غالية الثمن. واشتهرت اليمن بصنع ثياب بيضاء عُرفت بالثياب السحولية، نسبة إلى موضع سحول الذى كانت تنسج فيه هذه الثياب، كذلك اشتهرت عدن بالثياب النفيسة التى نسبت إليها وعُرفت بالعدنيات.

واشتهرت جزيرة العرب بصنع البسط والأكلمة، إضافة إلى الصناعات القائمة على الألياف والخوص وعيدان بعض الأشجار والحبال. كما استخدم العرب بعض النباتات فى الصباغة، كما استخرجوا الزيوت من البذور بمعاصر خاصة. وبرع العرب، وبخاصة أهل اليمن، فى دباغة الجلود، واستخدموا نبات القرظ وقشر الرمان والشب فى ذلك.



وقد قامت الحرف الخفيفة فى جزيرة العرب من نجارة وحدادة وخياطة وصباغة، برغم أن العرب نظروا عمومًا إلى هذه الحرف والمشتغلين بها نظرة ازدراء فلم يقبلوا عليها وتركوا العمل فيها للأعاجم واليهود والنصارى والعبيد.

وقد تشتهر مدينة ما من مدن شبه جزيرة العرب بحرفة من الحرف فيكون لمنتوجها من حرفتها شهرة واسعة وتباع فى الأسواق بأسعار مرتفعة، فاشتهرت اليمن ببرودها وسيوفها فى جميع أنحاء شبه الجزيرة، كما اشتهرت مكة بعطورها وثقيف بالطائف بجلودها.

وكانت الأجور تُدفع للعمال والصناع يوميًا، أما الرقيق فلم يكونوا يتسلمون أجورًا على أعمالهم بل يُكتفى بإطعامهم وإلباسهم وحمايتهم، وعليهم، مقابل ذلك، الاشتغال فى الصنائع والحرف بما يوكل إليهم به أسيادهم.



تألف المجتمع العربى قبل الإسلام من طبقات ثلاث: طبقة عليا وطبقة وسطى وطبقة دنيا. وكان أرباب الطبقة العليا هم السادة والأشراف وأعضاء الأسرة المالكة فى الممالك العربية القديمة. ولهؤلاء امتيازات خاصة وأراض يستفيدون من ريعها ورقيق يخدمونهم.

ويقع الإقطاعيون الكبار (الأقيال) وملاك الأراضى الكبار (الأذواء) فى الدرجات العليا من درجات المجتمع، وقد ينازعون الملك ملكه ويقصونه عنه. ورجال الدين طبقة تقع فى رأس طبقات المجتمع، ولهم امتيازاتهم وأراضيهم الخاصة، ولهم أموال يجمعونها من الوقفيات والنذور.

ويكوِّن المحاربون طبقة خاصة لها منزلتها التى تلى منزلة الأقيال والأذواء، وقد كان لهم نفوذ كبير وبخاصة فى مملكة سبأ. ويشكِّل التجار الطبقة الوسطى فى المجتمع العربى، بينما يشغل العمال الأُجراء والخدم والرقيق الطبقة الدنيا إضافة إلى الفقراء والصعاليك.

هذا عن مجتمع الحضر، أما المجتمع البدوى فهو مجتمع بسيط يتكون من سواد القبيلة المتساوين فى الحقوق والواجبات يترأسهم رؤساء القبائل وأشراف العشائر. ولرؤساء القبائل الإبل، وهى أموالهم، وهم الذين يستطيعون الذهاب إلى القرى والمدن ومواطن الحضارة للعيش فيها زمنًا ولشراء ما يجدونه فى أسواقها مما يحتاجون إليه من سلع.

وكان الصرحاء الأحرار من أبناء القبيلة العربية فى البادية الذين يجمع بينهم صلة الدم والنسب يمثلون طبقة السيادة فى القبيلة وأصحاب المنزلة العالية فيها، وكانوا يتمتعون بحماية قبيلتهم التى تنصر أيًا منهم ظالمًا كان أو مظلومًا. وكانت لهؤلاء الأشراف من عرب البادية بيوتات تتفاوت عندهم فى الشرف والمكانة، وكانت بعض هذه البيوتات تتفاخر وتتباهى على غيرها من البيوتات فلا تزوج أحدًا من أبنائها أو بناتها إلا لمن كان كفؤًا لهم.

والشرف عند العربى الجاهلى هو الحسب بالآباء والحفاظ على العرض، وثأر العرض عند العربى مثل ثأر القتل. وتتمثل المُثل العليا عنده فى المروءة وكمال الرجولة التى من مظاهرها الكرم والحلم والصبر والعفو عند المقدرة وكرم الضيف وإغاثة الملهوف وحماية الضعيف ونصرة الجار.

والمروءة هى دين الجاهليين، وقد أقرها الإسلام فيما أقره من فضائل الجاهلية. كذلك كانت النخوة والجود والكرم من خصالهم الحميدة.



وللجوار حرمة كبيرة عند عرب الجاهلية، وحقٌّ على المجار الدفاع عن مجيره وحمايته، وإن لم يفعل ذلك يكن ناقضًا للعهد مخالفًا للذمة والوعد. وكانت العصبية للقبيلة هى الظاهرة المميزة لعرب ماقبل الإسلام. والعصبية هى أن يدعو الرجل عصبيته إلى نصرته، وترتبط العصبية بدرجة الدم والتحام النسب. وأقرب دم إلى الإنسان هو دم أسرته حتى تصل العصبية إلى القبيلة والعصبية للحلف. وعلى أفراد الحلف أن يتآزروا فى دفع الديات وبالمطالبة بديات من يُقتل من قبائل الحلف إذا عجز أهل القتيل أو قبيلة القاتل عن الأخذ بحقه. وتشمل العصبية كل من ينتمى إلى القبيلة أحرارها ومواليها. وإذا قتل قتيل للقبيلة لزم كل أفراد القبيلة الأخذ بثأره؛ ذلك لأن التبعة فى قانون العصبية تبعة جماعية، ومن هنا خضعت فردية الأعرابى المتطرفة لسلطان العصبية، فصار واجبًا عليه أن يضع نفسه تحت إمرة القبيلة مستعدًا لتنفيذ ما يصدر إليه منها من أوامر. وعليه أن يقدم نفسه طواعية واختيارا لقبيلته وأن يشاركها فى غزوها وحربها والدفاع عنها. وقد نهى الإسلام عن عصبية الجاهلية وحوَّلها إلى عصبية للإسلام بأن يتعصب المسلم لدينه ولجماعة المسلمين.

ولقد جر الأخذ بالثأر على عرب الجاهلية حروبًا مريرة وقتالا شديدًا، وكان السبب المباشر لما وقع بين القبائل العربية من حروب ومعارك عُرفت فى التاريخ باسم «أيام العرب»، ومن أشهر هذه الأيام: يوم حليمة، وعين أباغ، ويوم اليحاميم، ويوم بعاث، وحرب البسوس، وحرب داحس والغبراء، وأيام الفجار. وقد تباهى رجال القبائل بهذه الأيام وعدوها من أهم مفاخرهم.

ومن عادات العرب الطيبة قبل الإسلام الوفاء بالعهد فمنه حفظ السموأل بن عادية أمانة امرئ القيس ولم يبال فى سبيل ذلك بقتل ابنه.

وكان من عاداتهم إذا غدر رجل ونكث العهد يرفعون له لواءً فى سوق عكاظ ليعرفه الناس ويتجنبوا التعامل معه. كذلك جُبِل العربى على الحرية وهو لا يقبل الضيم ولا يخضع إلا لقبيلته فى إطار الحفاظ على حريته الشخصية. وقد كان للعربى فى الجاهلية عادات اجتماعية وتقاليد تأثرت بمعتقداته الدينية وبطبيعة بلاده الصحراوية. فكان يؤمن بوجود قوى خفية خارقة لها أثرها الكبير فى حياة الناس وأعمالهم ومستقبلهم. لذلك عمدوا إلى التقرب لهذه القوى بتقديم القرابين والنذور وطلب العفو منها والتضرع لها فى مناسبات كثيرة. ولذلك آمن العرب بقدرة المنجمين والسحرة على حمايتهم من هذه القوى والتزموا بتعاليمهم وعملوا على تنفيذها على الوجه الأكمل. كما آمنوا بقدرتهم على تسخير الجن فى محاربة هذه القوى وفى منع الجن ذاته من التعرض لهم. وقد كان لكل قبيلة كهانها الذين يرجعون إليهم ويتنبؤون لهم بمستقبلهم. وكان العرب يلجأون إلى العرافين والقيافين الذين كانوا يتتبعون الأثر. وكانوا يستقسمون بالأزلام، وهى إحدى طرق التنبؤ كان الكهنة يقومون بها أمام الأصنام حتى يظهروا أن ذلك من إرادة الآلهة ومشيئتها. وكان الاستقسام جزءا من حياة العرب اليومية فكانوا لايقدمون على شيء إلا بعد إذن الأزلام لهم بذلك من سفر أو عمل أو زواج، وقد هدم الإسلام ذلك وجعله فسقًا وذلك فى قوله تعالى ﴿ ... **وأن تَسْتَقْسِمُوا بِالأَزْلامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ** ... ﴿٣﴾ ﴾ [المائدة].



وكان العـرب يستطلعون حظوظهم بضرب الحـصى، كما كانوا يزجـرون الطير بالحصى ليفزعوها ويراقبوا اتجاه حركة طيرانها فيـتفاءلون بتيامنها ويتشاءمون بتياسرها. وتطيَّر العـرب من الغراب والبوم والحـدأة وذوى العاهات ومن بعض الأسـماء وبعض ساعات اليوم وبعض الأيام وبعض الأرقام وبعض النساء. وقد نهى الرسول الكريم عن الطيرة والتطير.

وكانت للجاهلية سمات أبطلها الإسلام، وفى جملة ما حاربه الإسلام من أمور الجاهليـة عبادة الأصـنام والأوثان، والعصبـية بكل أشكالهـا إلا للإسلام، والتفـاخر بالأحساب والأنساب، ووأد البنات، وقتل الأبناء خشـية الفقر، والنواحة على الميت ولطم الخدود وشق الجيوب والدعوى بدعاء الجاهلية.

كذلك نهى الإسـلام عن عـادة العـرب فى الجاهلية دفن الميت بملابسه، ودفنهم موتاهم فى بيوتهم، ودفن بعض الأشياء مع الموتى، وعن عقل ناقة الميت عند قبره.

وقـد حرم الإسـلام أنواع الزواج الفـاسـدة التى كانت سـائدة عند عـرب الجاهلية مثل: زواج الشغار، وزواج المقت، ونكاح المشاركة، ونكاح الاستبضاع، ونكاح الخدن، ونكاح الأسـر. كذلك منع الإسلام جـمع الرجل بين الأختين فى فراش واحد.

وكـانت للـعـــرب فى الجـاهـليـة عـادات فى الطلاق وكانت عندهم أنواع منه، منها: الظهار والإيلاء والخلع. والظهار هو أن يقـول الرجل لزوجـتـه: «أنت عـلىّ كظـهـــر أمى» أو كـبطنهـا، وبـذلك تحـرم عليـه ويكون تطليـقهـا. والإيلاء، هو الحلف عـلى ترك المرأة مـــدة، والخلع، هو فراق الزوج زوجـته على أن تدفع له مالا تشـترى به حريـتها. وكـانت للنسـاء عادة تقـوم بها إذا مـا أرادت الطلاق من زوجـــهـــا، وهى أن تحـــوِّل الفـتحـة المؤدية إلى خـدرها فى الخيـمة إلى الناحـية المعاكـسة، حتى إذا جاء الزوج ووجد الأمر كـذلك فـهم المراد وأحـجم عن دخول الخـيمـة، ويقع بذلك التطليق. وكـانت النساء فى الجـاهلية يبـالغن فى حزنهن عـلى وفاة أزواجهن فيلزمن بيوتهن مدة عام وهن لابسات شر ثيابهن، وقد نهى الإسلام عن ذلك وجعل لهن عدة يعتدونها ومنع عليهن مظاهر الحداد الشديدة على الميت، كذلك منعهن من زيارة القبور.



وأعطى المجتمع العـربى فى الجاهلية السيادة فى الأسرة للرجل دون المرأة بحكم تـفوق بنيته عليها وتعهده بحماية الأسرة ورعايتها وتوفـير احتياجاتها، فاغتصب بذلك الرجل حق المرأة والابنة من حقوق الميراث. ولذلك كره العربى إنجاب الإناث وتعلق بإنجاب الذكور.

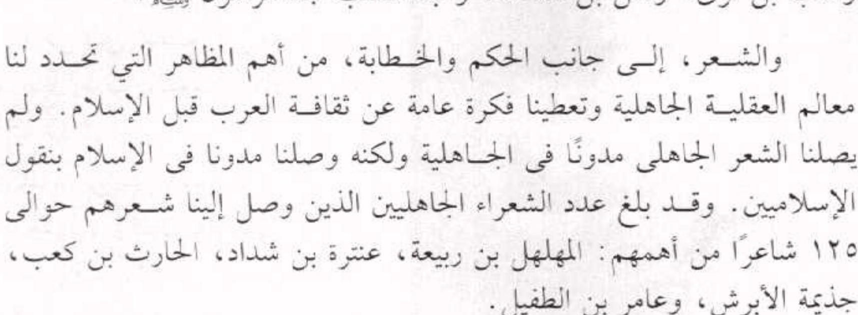


العرب من الشعوب التى عرفت الكتابة وكان لها خطوطها قبل الإسلام بزمن قديم، مثل قلم المسند، والقلم النبطى، وقلم الجزم. والمواد التى كتب العرب فى الجاهلية عليها عديدة منها: الحجر والخشب وورق الشجر والجلود والقراطيس وأكتاف الإبل والكاغد والرق. وكان التعليم فى الجاهلية يبدأ فى الكتاتيب. والعلوم التى عرفوها: علم الأنساب، والقصص، والطب، والتنجيم والفلك، والتأريخ.

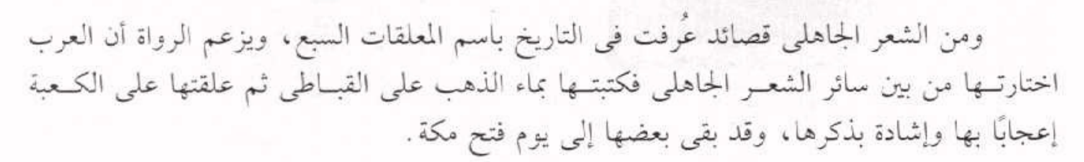
ولقد ارتقى العرب بلغتهم وعبروا بها عن ثقافتهم بما أوردوه وخلفوه من خلالها من نثر وشعر دل على ثراء هذه اللغة واحتلالها المكانة العليا بين اللغات السامية الأخرى. ولهجة قريش هى العربية الفصحى التى عمت وسادت فى الجاهلية فى كل القبائل العربية. وكان الشعراء يتخذونها لغة لشعرهم. والعربية بجميع لهجاتها وألسنتها مثلها مثل اللغات الأخرى تأخذ وتعطى من مفردات اللغات الأخرى، والأخذ والعطاء ووضع مفردات جديدة فى لغة ما هما من دلائل الحيوية ومن أمارات القوة والتكامل فى اللغة. وفى القرآن، كما يذكر العلماء، يوجد أكثر من مائة لفظ معرب نصوا على أصوله من الأعاجم. وهى كلمات دخل بعضها العربية قبل الإسلام بعهد طويل لعدم وجود مثيل لها فى لغة العرب، فأخرجتها العرب على أوزان لغتها فصارت بذلك عربية. وقد أخذت العربية ألفاظًا من اللغات اليونانية والفارسية والسريانية والعبرانية والحبشية والنبطية والقبطية. ووجود المعربات دليل على اتصال عرب الجاهلية بغيرهم واتصال غيرهم بهم، وعلى الروابط الفكرية التى كانت بين العرب فى القديم والشعوب السامية الأخرى. وقد جاء هذا الاتصال حين أقام العرب فى المستوطنات اليونانية الكائنة فى مواضع عديدة من سواحل البحر الأحمر والخليج العربى. كذلك جاء من تواجد مختلف أنواع الرقيق فى بلاد العرب وجلب الأعداد الكبيرة منهم فى كل عام، يضاف إلى ذلك التجارة مع دولتى الفرس والروم والاحتكاك بشعوبهما والتأثر بثقافاتهما. وكان للمبشرين أيضًا شأن مهم فى نقل التراث اليونانى والآرامى إلى جزيرة العرب أيام الجاهلية.

وللحديث عن أدب العرب فى الجاهلية، نقول: إن البعض ذهب إلى وجود أدب منثور للعرب قبل الإسلام تجلى طرازه فى الحكم والأمثال المنسوبة إلى حكماء الجاهلية. والخطابة وجه آخر من أوجه النشاط الثقافى عند عرب الجاهلية، وقد كان للخطيب عندهم مقام كبير للسانه وفصاحته وبيانه والقدرة فى الدفاع عن قومه والتحدث باسمهم، فهو لسان قبيلته. ومنهم من اشتهر بنظم الشعر وعُد من فحول الشعراء مثل عمرو بن كلثوم، ومنهم من كان يقول الشعر بالإضافة إلى علو شأنه فى النثر مثل عامر بن الظرب العدوانى. وأشهر خطباء

الجاهلية، أكثم بن صيفى، وحاجب بن زرارة التميمى، وعامر بن الطفيل، وكعب بن لؤى، وقس بن ساعدة، وعبد المطلب جد الرسول ﷺ.



والشعر، إلى جانب الحكم والخطابة، من أهم المظاهر التي تحدد لنا معالم العقلية الجاهلية وتعطينا فكرة عامة عن ثقافة العرب قبل الإسلام. ولم يصلنا الشعر الجاهلى مدونًا فى الجاهلية ولكنه وصلنا مدونا فى الإسلام بنقول الإسلاميين. وقد بلغ عدد الشعراء الجاهليين الذين وصل إلينا شعرهم حوالى ١٢٥ شاعرًا من أهمهم: المهلهل بن ربيعة، عنترة بن شداد، الحارث بن كعب، جذيمة الأبرش، وعامر بن الطفيل.



ومن الشعر الجاهلى قصائد عُرفت فى التاريخ باسم المعلقات السبع، ويزعم الرواة أن العرب اختارتها من بين سائر الشعر الجاهلى فكتبتها بماء الذهب على القباطى ثم علقتها على الكعبة إعجابًا بها وإشادة بذكرها، وقد بقى بعضها إلى يوم فتح مكة.

ولقد ازدهرت الفنون عمومًا فى اليمن، وخاصة الفن المعمارى، وقد توافرت فى اليمن أنواع من الأحجار الصالحة للبناء والنحت، كما توافرت فيها المواد المساعدة الأخرى التى تدخل فى إنشاء العمائر. ولهذا قامت فى اليمن القصور والبيوت ذات الطوابق المتعددة، وأقيمت السدود القوية التى تحملت على مر الزمن ضغط السيول العالى عليها. وللأسف فقد دمرت معظم قصور اليمن، مثل قصر غمدان بصنعاء، وقصر شمَّر بذى ريدان وقصور الأسر الحاكمة، كذلك هُدمت في العراق قصور الحيرة وبيوتها واستخدمت أحجارها فى بناء مدينة الكوفة عند تأسيسها.

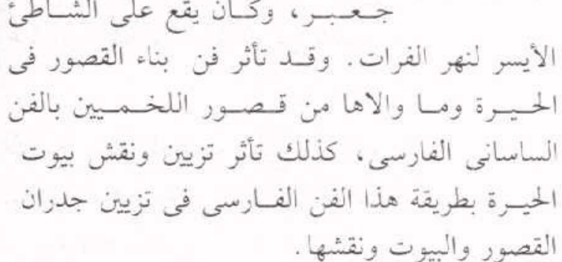
ولا تملك المتاحف فى الوقت الحاضر تماثيل جاهلية بالحجم الطبيعى للإنسان مما خلفه الفنان فى الجاهلية، وقد تسبب فى إتلاف هذه التماثيل كونها أصناما. وقد اكتشفت حفريات اليمن تماثيل صغيرة لرجال ونساء وأطفال بعضها من الحجر وبعضها من المعدن، وهى تكشف لنا عن عادات وتقاليد المجتمع فى ذلك العهد. كذلك الكشف عن أنواع الحلى التى كانت المرأة اليمنية تتزين بها، كذلك الكشف عن بعض ملبوسات ذلك العهد.

وقد عثر المنقبون والباحثون عن الآثار القديمة على رسوم لبشر وحيوانات ونباتات نقشها الجاهليون على الصخور والحجارة، يرمز بعض منها إلى أمور دينية وأساطير قديمة، ويعبر البعض الآخر عن مواهب فنية عند حافرى هذه الصور، وقد كانت الوثنية تشجع التصوير الذى لم يكن يتعارض معها، وكانت الأصنام عماد عبادتها. وكانوا يقدمون القرابين لها ويصنعونها فى بيوتهم لعبادتها والتقرب إليها والتبرك بها، كما أنهم كانوا يمارسون الغناء ويعزفون الألحان ويتغنون مع الموسيقى لما لذلك من صلة بأعيادهم وطقوسهم الدينية.

واشتهرت الحيرة بقصرها المعروف بالخورنق الذى بناه المهندس سنمار، وارتبط باسم هذا القصر قصر آخر هو السدير، وكان ذا قباب ثلاث ويتألف من إيوان ينتهى إلى غرفة وعلى جانبيه



غـرفتـان ، وكان مـلوك اللخمـيين يقـيمـون فـيه قـبل الإسـلام. ومن الأماكن التى تنسب إلى ملوك الحيرة موضع يُعرف بالدوسر، كان من أحد أبنية ملوك الحيرة ثـم تملكه جعبر بن مالك، من بنى قشيـر، فعُرف بقلعة جـعـبـر، وكـان يقع على الشـاطئ الأيسر لنهر الفرات. وقـد تأثر فن بناء القصور فى الحـيـرة ومـا والاها من قـصـور اللخـمـيين بالفن الساسانى الفارسى، كذلك تأثر تزيين ونقش بيوت الحيـرة بطريقة هذا الفن الفـارسى فى تزيين جدران القصور والبيوت ونقشها.





منحوتة جنائزية لسيدة

سوق عكاظ الذى كانت تلقى فيه الأشعار والخطب





- القرآن الكريم.
- كتب الصحاح.
- كتب السنن.
- ابن هشام: السيرة النبوية.
- أحمد أمين: فجر الإسلام
- أحمد فخرى: اليمن، ماضيها وحاضرها.
- الأزرقى: أخبار مكة وماجاء فيها من الآثار.
- جواد على: المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام.
- چورچى زيدان: العرب قبل الإسلام.
- رود كاناكيس: الجزيرة العربية قبل الإسلام، ترجمة فؤاد حسنين على.
- ابن سعد: الطبقات الكبرى.
- سعيد الأفغانى: أسواق العرب فى الجاهلية والإسلام.
- سيد الناصرى: الروم، تاريخهم وحضارتهم وعلاقتهم بالمشرق العربى.
- ابن شبة: أخبار المدينة.
- الطبرى: تاريخ الرسل والملوك.
- عبد الله حسن مصرى: الجزيرة العربية قبل الإسلام.
- عبد الوهاب النجار: قصص الأنبياء.
- عطية القوصى: تاريخ العرب وحضارتهم قبل الإسلام.
- فيليب حتى: تاريخ سوريا ولبنان، ترجمة چورج حداد.
- محمود عرفة: العرب قبل الإسلام.
- الهمدانى: صفة جزيرة العرب.
- ياقوت: معجم البلدان.



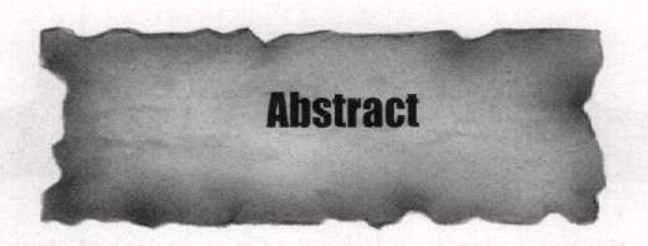
فيليب العربى (٢٤٤-٢٤٩م)

إمبراطور الروم من أصل عربى





الموضوع	الصفحة
- مقدمة.	١
- مصادر تاريخ العرب قبل الإسلام.	٢
- بلاد العرب قبل الإسلام.	٥
- طبيعة بلاد العرب.	٥
- طبقات العرب.	٨
- العرب البائدة.	٨
- العرب العاربة.	١٤
- العرب المستعربة.	١٤
- الممالك العربية قبل الإسلام.	١٥
أ - ممالك اليمن.	١٥
ب- ممالك الشام والعراق.	٢٤
- بلاد الحجاز قبل الإسلام.	٣٩
مكة المكرمة.	٣٩
المدينة المنورة (يثرب).	٤٥
الطائف.	٤٧
- الحالة السياسية فى جزيرة العرب عند ظهور الإسلام.	٤٩
- الحياة الاقتصادية.	٥٨
- الحياة الاجتماعية.	٦٤
- الحياة الثقافية.	٦٨
- المصادر والمراجع.	٧١
- المحتويات.	٧٢



The reader might not be aware of the conditions of Arabia before the rise of Islam. That period is usually referred to as Jahilya, a term which is linked with ignorance, darkness, and tribalism.

The author underlines some important facts about the Arabs of that era.

There were indeed some parts of the Arabian Peninsula which had social, economic, and cultural institutions. It should be stressed that Islam came to unify the Arabs round the word of God and His Prophet, who is the seal of all Prophets.

However, the book is intended to highlight a brief history of the kingdoms in classical Arabia, such as, Aad, Thamoud, Sabaa, Maaen, and Hemyar, beside the small buffer States on the borders with the Persian and Byzantine Empires, such as Mundirs, and Ghassanids.

Dr. Attia El - Qossi



History is the most esteemed branch of human knowledge, thus a historian should abide by the virtue of objectivity, foresight and the readiness to learn from the lessons of the past in order to confront present and future challenges.

History is not a kind of tell-tale, rather it is the morale lying behind events and happenings. History again has a wonderful trait which is "continuum" from the past to the present, and ventures of the future.

Episodes of history are transformed from one generation to the other via the narrative which preserves the accomplishments of each and every historical epoch.

However, history does not in any way repeat itself, for every day there is something new and dynamic in our globe. It is true that the stage for events remains the same, but seasons change and the human being himself does change, socially and culturally as well.

In view of all these considerations, Dar El-Fikr-EL-Arabi, founded by Mr. Mohamed Mahmoud El Khodari, has taken on itself to foster this colossal project of a historical serial involving past, present, and contemporary records from a universal approach.

It is noteworthy that the authors of this serial are from the elite of the Egyptian historians.

We sincerely hope that the recipient will enjoy reading the volumes of this serial for which Dar- El-Fikr has devoted all its efforts and technologies to produce it in this colorful format.

Dr. Said Abdel Fattah Asshour

CONSULTATIVE COMMITTEE FOR: THE ENCYCLOPAEDIA OF HISTORY, ARCHAEOLOGY AND CIVILIZATION

Editing Directosrs: Chemist/ Amin Mohamed Al-Khodary
Engineer/ Atef Mohamed Al-Khodary

Committee Secretary: Abd El Halim Ibrahim Abd El-Halim

Designed by : Mohy El-Din Fathy El-Shaloudy

Correspondence & Communications:

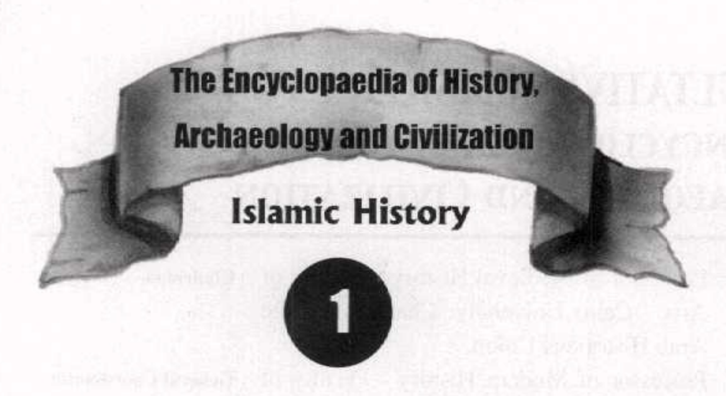
Dar El-Fikr El - Arabi

The Encyclopaedia of History, Archaeology and Civilization

94 Abbas Al-Akkad St., Nasr City - Cairo - Egypt

Tel.: 2752984 Fax: 2752735

www.darelfikrelarabi.com
INFO@darelfikrelarabi.com



Pre - Islamic Arabia



Dr. Attia El - Qossi

Publisher
Dar Al-Fikr Al-Arabi
94 Abbas El - Akkad St. Naser City - Cairo
tel : 2752794 . Fax : 2752735
www.darelfikrelarabi.com
INFO@darelfikrelarabi.com